مهرجان القراءة للجميع

د. وفـاء إبـراهيم





الوعى الجمالى عند الطفل

الهيئة المصرية العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة المرحوم/شارل كرتيه

الاسكندرية

الوعى الجمالى عند الطفل

الوعى الجمالى عند الطفل

د. وفاء إبراهيم



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

الوعى الجمالى عند الطفل

د. وفاء إبراهيم

الغلاف

الإشراف الفنى

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

إهداء

إلى روح الخيال الخلاق

لدى أطفالنا ... قطرة حب

من أجل البقاء فالبقاء للمبدع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن أطفالنا ليسوا فلزات أكبادنا فحسب ـ كما يقال دائماً ـ وإنما هم أيضاً مستقبلنا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، فهم مستقبل أمتنا وغدُنا الذى نعد له أن يكون مشرقاً.

ومما لاشك فيه أن الدراسات الحديثة من نفسية واجتماعية وتربوية قدمت منهجاً وأدوات وتجارب وطرقاً عديدة تساعد فى تنشئة الطفل تنشئة سليمة وجيدة، إلا أنه من الملاحظ غياب الاهتمام بتنمية الوعى الجمالى عند الطفل، ذلك الوعى الذى لا يقل أهمية من الوعى العلمى أو الاجتماعى أو النفسى أو البيئى، لأن الوعى الجمالى ـ فى اعتقادى ـ يمكن أن يكون الخلفية التى تتحرك عليها زوايا الأنشطة المعرفية الأخرى للطفل، كما إنه له من المرونة أن يوظف فى مجالات متعددة من أنشطة الطفل، العلمية، والأخلاقية، والدينية والبيئية، كذلك هو أقرب إلى الطاقة التى تدفع وتحرك وتحرض ملكات الطفل أن تعمل متناغمة وعلى نحو متجدد دائماً.

ولعل هذا الرأى يستند إلى ملاحظات شخصية وتجارب وأراء الأخرين، وكذلك إلى دراسات وقراءات موضوعية منها ـ مثلا ـ اهتمام علماء النفس والتربية باتخاذ الفن سواء أكان رسما أو موسيقى أو أدبا نقطة رئيسية تكشف عن ذكاء الطفل أو عن اضطراباته المعرفية أو عن شخصيته ثم تمهد إلى طرق لتنمية الأبعاد الثقافية والاجتماعية [1].

١ . أنظر : على سبيل المثال د. محمود بسيونى .. رسوم الأطفال قبل المدرسة.

د. شاكر عبدالحميد .. الطفولة والإبداع.

د. مصطفى عيد .. التربية الفنية لأطفال الحضانة، وغيرهم كثيرون.

ونأمل أن يعنينا ا لله " سبحانه " على أن نوضح هذا الرأى من زاوية علم الجمال وندعمه عن طريق منهج دقيق ليرقى هذا الوعى لدى الطفل ويصقله ، ثم نبين علاقة هذا الوعى ببعض انشطة الطفل الادراكية والحسية ، ثم ننتهى إلى بيان مظاهر هذا الوعى الجمالى وفاعليته فى حياة الطفل من حيث كونه نواة الانسان المصرى .

وانية ان هذه الدراسة تهتم اساسا بالطفل منذ ولادته وحتى الثانية عشرة فقط لأننى أعتقد إنه فى ظل هذا التقدم التكنولوجى الكبير لا يمكن أن نعد طفل ما بعد الثانية عشر طفلاً ، كما سأميز بين مرحلتين :

١- مرحلة ما قبل المدرسة (منذ الولادة إلى السنتين أو ثلاثة)

٢- مرحلة المدرسة (تشمل فترة الحضانة حتى نهاية المرحلة الابتدائية)

وأخيراً أقدم هذا الكتيب لكل من يتولى تنشئة الأطفال واعداد الأفراد للوطن، إنه مكتوب من أجل تحقيق غاية نبيلة هى رعاية الوعى الجمالى فى أطفالنا ، لأن أهمال او اغفال هذا الجانب فى الطفل ، لعله سبب مظاهر القبح ، والفوضى الوجدانية ، والانحرافات المتعددة ، (كالادمان ، والانحراف الخلقى ، والهوس الدينى) التى نلاحظها جميعاً . إذ إنها تعبر عن اللاتوازن بكل أشكاله فى الانسان ، واللاتوازن يعنى فيما يعنية ضياع الوحدة وتبدد التناغم فى الانسان ، واذا كان الكسيس كاريل، العالم والطبيب يقول فى كتابة " الانسان ذلك المجهول " : إنه لا يمكن فصل الانسان إلى أجزاء ، إذ لو عزلت اعضاؤه احدها عن الآخر لما بقى على قيد الحياة [1]. فإن ذلك يصدق بنفس القدر على فصل وجدان الانسان عن فكرة وعقلة .

---

١ . الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ــ ص ٩د

هل يدرك الطفل الجمال ؟

مما يقال دائماً ان من الصعب تصور امكانية ادراك الطفل للجمال ، حيث إن الجمال يحتاج إلى رصيد من التجربة ، وليس أدل على ذلك من أن الانسان الأول لم يستطع أن يميز بين الجميل والقبيح وإنما كان جل اهتمامة هو الكشف عن النافع والمفيد .

وفى الواقع تثبت الدراسات المهتمة بنمو الطفل وارتقائه المعرفى – خاصة فى السنة الأولى – ان هناك مجالات متعددة يرتقى الطفل من خلالها معرفيا مثل جانب الإدراك ، وجانب المعلومات ، وجانب التصنيف ، وجانب الذاكرة . ويهمنى فى الأساس جانب الادراك حيث يكون الطفل قادراً على إدراك الموضوعات وادراك بعض خصائصها كاللون ، والصلابة ، والشكل وكذلك يحب الأطفال – بشكل خاص – فى السنة الأولى النظر إلى الحركة والتغير فى حجم أو اتجاه العناصر والموضوعات [1] .

وبذلك نستطيع القول ان الطفل ومنذ لحظة ميلاده الأول واتصاله بالعالم يرتكز على اسس جمالية ، ذلك لأن حاسة ابصارة حاسة مستكشفة لكيفيات ما حوله – اللون – الضوء الليونه – الصلابة – ولقد دلت الملاحظات والدراسات والتجارب على أن حاستى السمع والبصر من أوائل الحواس العليا التى يستخدمها الطفل فى اتصاله بالعالم (قبل أن يحبو أو يمشى) ، فعيناه تتحركان فى متابعة نقطة ضوء ، أو لون أو شكل خاص ، ويلتفت إلى مصدر صوت إيقاعى ، أو ينام على أصوات أغانى التهنين المعروفة فى التراث الشعبى .

---

١ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الثانى ـ ص ١٦ .

مقومات الوعى الجمالى عند الطفل :

لكى نتعرف بوضوح على مقومات الوعى الجمالى عند الطفل ، فلابد ان نحدد معنى الوعى الجمالى الذى لا ينفصل عن الوعى بمعناه العام من حيث كونه مركز انتباه او شعور او ادراك ذات ساعية إلى معرفة موضوع ما تمارس من خلال هذه المعرفة نشاطا فعالا تتوالى فيه أساليب أو صيغ لا يمكن اختزالها او انقاصها ، كأن نفهم ما يواجهنا من خلال بعد ما أو من خلال منظور خاص او من جانب من جوانبة مستخدمين الصور الخيالية والأدراكات الحسية والمشاعر والعواطف والمعارف جميعها بموجب طريقة خاصة بكل امرىء يتحكم فيها – مثلا – الحالة المزاجية أو الاختيار او التذكير او الانتقائية او الانتباه او التكثيف [1] .

وفى ضوء ذلك التعريف فإن الوعى الجمالى هو القدرة على التذوق او الشعور او الانتباه الى القيمة الجمالية او الكيفية الجمالية التى توجد فى شئ ما سواء أكان طبيعياً او عادياً او عملا فنيا فى ذاتها ولذاتها دون الاهتمام بصلتها المباشرة بالنفع المادى أو تحقيق اى مكسب عاجل او آجل وهذا ما يسمية الفيلسوف الالمانى كانط kant بالتنزه عن الغرض disinterestedness ، ولما كان الطفل يبدأ بإدراك كيفيات أو قيم الأشياء من حيث اللون والشكل والصوت والحجم ، فإن وعية – بصفة عامة – وعيا جمالياً .

ومن ثم فإن ما سبق يدفع إلى طرح سؤال :

---

[1] Dictionary of philosaphy p., 46 .

ما هى القيمة الجمالية ؟

القيمة الجمالية هى و قيمة الخير (الاخلاق) والحق (المنطق) تكون مجال القيم الانسانية فقيمة الحق توجه تفكير الانسان على نحو منطقى ، وقيمة الخير تحدد سلوكه على نحو اخلاقى ، أما القيمة الجمالية تجعله يميز بين الجميل والقبيح فى الطبيعة وفى الأعمال الفنية ، وهى تفترض علاقة تفاعلية بين المتلقى أو متذوق الجمال والشئ الذى يتم تذوقه سواء كان شيئا طبيعيا او عملا فنيا .

ولذا ينقسم الباحثون والمهتمون بالقيم إلى فريق يؤيد موضوعية القيمة الجمالية بمعنى اعتقادهم بأن القيمة الجمالية تكمن فى تلك الخصائص والسمات التى يحتويها الموضوع الجميل ، أما الفريق الأخر فهو يرى أن القيمة الجمالية ترتبط بالمتلقى أو المتذوق لموضوع جميل فهو الذى يضفى من احساسه على هذا الشئ [1] . فيصبح بالنسبة له جميلا ، لذلك يفضل البعض تعريف القيمة بأنها ليست فيما نفضله بل فيما هو قادر على إثارة تفضيلنا وإعجابنا متى توافرت الظروف السليمة لكى تتم هذه الاستجابة ، وبذلك فالقيمة هى ما هو موجود بالقوة – على حد قول إرسطو – وليس هو الموجود بالفعل[2] .

وفى الحقيقة إن تعريف القيمة الجمالية تعريفا جامعا مانعا ليس موضوعا سهلا وبسيطا ، فالقيمة الجمالية قيمة ثرية متسعة المجال ، متعددة الخصائص والسمات،كثيرة الإرتباطات فهى ترتبط بالتراث ، وبالوعى الجمعى ، وبالمستوى الثقافى ، وبالمناخ

---

1 The Encyclopedia of philosopy Vol., 1-2 p.,52,53 .

٢ . د. أميرة مطر : مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن – ص ١٠ .

الاجتماعى والنضج النفسي . كما إنها متنوعة الأبعاد وفقا لمستوى رؤية المتلقى ، فهى قد تحقق للبعض لذة ومتعة وتسلية وقد تمثل لأخرين احتياج ضرورى يصله بالأخر فى كل صورة ، ولقد عبر الشاعر جان كوكتو عن ذلك بقوله " الشعر ضرورة وآه لو أعرف لماذا "[1] وبذلك يمكن القول ببساطة إن القيمة الجمالية تكمن فى تلك العلاقة التى يشتبك فيها المتذوق مع الشئ الجميل عن وعى وقصد .
لعل هذا يجعلنا نتسائل قائلين : بما ان الطفل يعى العالم جماليا ،

فهل هو يدرك القيمة الجمالية ؟ وما طبيعة هذه القيمة الجمالية لديه ؟

فى الواقع ان الطفل من حيث كونه يبدأ بإدراك كيفيات ما يحيط به من لون، وصوت ، وشكل ، فان معنى ذلك أنه يعزف من خلال الجمال او يتعرف إلى العالم حوله من خلال وقع الجمال عليه ، ويبدو أن هذا يذكرنا بنظرية المعرفة عند افلاطون حيث يرجع العملية المعرفية التى تبدأ بتذكير " عالم المثل " " إلى ألمع المثل" " مثال الجمال " الذى يثير ملكات الادراك الحسى ، ثم الربط ثم المفاهيم ، فمثلا من جوانب الارتقاء المعرفى خلال السنة الأولى هو قدرة الأطفال على التصنيف ،أى تجميع الأشياء أو الوقائع على أساس بعض الخصائص المميزة المشتركة كاللون مثلا[2] .
وبذلك فهو يقدر القيمة الجمالية ضمنيا ، دون قدرة على التصريح بذلك ، وانما يدرك ويصنف ويميز وتتحدد لدية الأشياء من خلال قيمتها الجمالية أى الوانها الصارخة ، أو الحارة ، أو أشكالها المتلألئة ، أو حركتها المثيرة ، أو صوتها الرفيع لا الخشن لأن

---

١ . إرنست فيشر : ضرورة الفن ـ ص ٧ .

٢ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الثانى ـ ص ١٧ .

الصوت الأرفع أحد ذبذباته وبالتالى أشد وقعا فـى نفسـه . أمـا بالنسـبة لطبيعـة القيـمـة الجمالية ، **هل هى ذاتية أم موضوعية ؟**

اعتقد إنها تتحدد من حيث وقعها عليه ورغبته فيها ، فهى على الأرجح قيمة ذاتية لأنه فى هذا العمر لا يقوى على الادراك التفاعلى الذى يستطيع من خلاله تحديد حصـائص موضوعية فى الشئ ويشتبك إشتباكا إنفعاليا وتصوريا .

ويمكننا الآن العودة إلى تحديد مقومات الوعى الجمالى عند الطفل ، اذا كـان الوعى الجمـالى عنـد البـالغين يتكـون بصفـة عامـة مـن الجميـل والجليـل ، " الجميـل " Beauty كما يقول كانط هو الذى نتحرر فى متعته من استخدام الأسلوب النفعـى أو الغرضى مثل سرورنا بالزهريات المزخرفة ، والأربسك ، والحركات الايقاعية الراقصة، وفى الطبيعة نجده فى الزهور ، والقواقع ، والبللورات . أما الجليل Sublime فهو ذلك الذى يتجاوز قدرات الانسـان العقليـة والخياليـة والجسـمانية بمعنـى عـدم القـدرة علـى تصوره حسابيا أو حجما أو عددا مثل نجوم السـماء ، ورمـال الشـواطئ ، والعواصـف والبراكين ، والفيضانات والزلازل [1] .

وفى ضوء فهمنا للتعريفين نستطيع القول إن وعـى الطفـل الجمـالى يقـف عنـد حدود الجميل وخاصة فى المرحلة الأولى ، وذلك بحكـم تكوينـه الضعيـف فهـو يتصـل بالعالم وهو وجل هياب ممـا حولـه مـن أشـياء ضخمـة ، إن لم تكـن تخيفـه فهـى تحـيره ، ضخامة الأثاث من حوله ، افراد عائلته ، ولذا نجـد الطفـل إلى مرحلـة مـا قبـل البلـوغ يخاف من كل ما هو أكبر منه الأشياء ، والأشخاص ، لذلك فإن وعيه الجمـالى يتأسـس

[1] G and K : A History of Aesthetics p., 337 , 339 .

على الجميل وليس على الجليل الذى يحتاج الوعى به إلى قدرات شعورية وعقلية تستوعب الضخامة ، والمساحات الشاسعة والأشكال المخيفة وأيضاً المظاهر الغير مألوفة من حيث الحجم واللون والتكوين .

ولذا فإن الوضع التكوينى والطبيعي والسيكولوجى للطفل يقدم الجميل على الجليل فى وعيه الجمالى ، وذلك لأن الجميل سوف يحقق له استئناس الوجود الخارجى والعمل على إقامة علاقة جمالية مع الجميل سوف تمهد بدورها إلى فهم الجليل والاستمتاع به فيما بعد .

ويبدو أن هذا التقديم للجميل فى وعى الطفل عن الجليل يشير إلى الكيفية التى يمكن من خلالها الوصول إلى معنى " الحقيقة الإلهية " دون غرس الخوف والرهبة فى نفس الطفل ، وانما من خلال رصد الجمال فى الأشياء والكون من حوله ، فنبدأ بإيقاظ هذا الحس الجمالى من خلال الأيات القرآنية – عندما يبدأ يحفظ القرآن فى بداية المدرسة – التى تكشف عن أن الجمال فى تنظيم الكون وتصميمة مقصود وليس شيئا بلا معنى ، مثل قوله تعالى : " لقد زينا السماء بمصابيح " [١] .

كذلك الآيات التى تكشف بعض خصائص الجمال مثل التوازن والتناسق والترابط بين اشياء الكون مثل : " الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت * فارجع البصر هل ترى من فطور " [٢] . كذلك " ألم تر أن ا لله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانه كذلك [٣] .

. سورة الملك (٥) .

٢ . سورة الملك (٣) .

٣ . سورة فاطر (٢٧ ـ ٢٨) .

وهناك كذلك احاديث الطفل مع أمه يمكن أن تدعم الوعى الجمالى الـذى يصـل بـه إلى الحقيقة الإلهية خاصة فى فترة اسئلته الحائرة عن خالق الكون من هو ؟
تستطيع الأم أن تنتهز هذه الفرصة فتعـدد بعـض اسمـاء الله عـز وجـل مثـل المصـور . البديع، العدل ، ثم تشرح له طبيعة كل صفـة . وتبـدأ بـالعدل أى حـرص الله ﷻ عـز وجل ﷻ على توازن الكون ، فكل جزء فى الكون موزون أو له وزن معين يقـول تعـالى ﴿ كـل شـئ خلقنـاه بقـدر ﴾ ، والمصـور أى أنـه " سـبحانه " يصـوغ المخلوقـات فـى صياغات فنية ذات الوان بهيجه وأشكال متنوعة ، والبديع اسم فاعل اى المبدع خـالق الجمال بقصد وروية ، وكل هذا يعنى أن الله " سبحانه وتعالى " لم يخلق كتل متنـاثرة . مبعثرة من حجارة ونبات واشجار وانسان وجبال وبحار ، بل جعل كل هذا عناصر فى " الشكل " الذى يضم هذا الكون الجميل الذى نراه متوازنا ومتناسبا ومتجانساً .

ولعل ذلك يلفتنا إلى شئ مهم إنه اذا كان الله سبحانه وتعالى ابدع وعى الطفل إبداعا جماليا، فإن ذلك يحتاج – كما يقول د.محمود بسيونى – مـن الآبـاء والأمهـات والمدرسين أن يكونـوا بدورهـم فـى درجـة مـن الإبـداع تسـمح برؤيـة رسـوم أطفـالهم وتذوقها ، وهذه ثقافة ضرورية لابد ان يمهد لها فى تكوين المواطن الذى سيكون أبـا أو أمـا فى المسـتقبل ولـه أطفـال سيرعاهم بالتنشـئة التـى تحـافظ علـى مسـتوى إبداعهـم وتنميه[1] .

ومما لاشك فيه أن ذلك يحتاج إلى تعاون فى مناخ عـام تشـترك فيـه المؤسسـات المعنية بتنشئة الطفل من أسرة ، ومدارس ، ونوادى وإعلام لأنه قد يعـوق دور الواحـد منهـم الأخـر ، فقـد تضيّـع أو تهـدر المدرسـة دور الأم ومجهودتهـا وإهتمامهـا بوعـى طفلهـا

---

١ . د. محمود البسيونى ـ رسوم الأطفال قبل المدرسة ـ ص ١١٩ .

الجمالى حين لاينتبه المدرس إلى أهمية ذلك الجانب ، كذلك قد يفعل الإعلام نفس الشئ من خلال المواد المبثوثه فيه .

ولعل ماسبق يجعلنا نطالب بضرورة إرجاء الأيات القرآنية التى تصور مشاهد يوم القيامة أوقيام الساعة لأنها تصور الجليل ، بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، حتى يستعد الطفل وتعمل قدراته لفهم الجليل ، فالبدء بالجميل ثم التمهيد للجليل يؤدى إلى توازن المعنيان، الجمال والجلال فى تتابع يرسم صورة متوازنة لحكمة الخلق من حيث كونه حياة مليئة بالجمال والعمل والكد وبقدر الإحساس بهذا الجمال وتقديره والعمل على الحفاظ على الكون بالعمل الصالح سيكون الجزاء بحسب درجة الأداء فى الحياة من حيث الجودة و الافادة . و ينطبق نفس الشئ على استخدام التراث الشعبى استخداماً سيئاً عندما يحكى للاطفال حكايات الجن و العفاريت والغيلان بقصد تخويفهم فأننى أعتقد إنه يمكن تحوير و تكيف هذة الحكايات بحيث يتم من خلال إبراز قيم جديدة مثل الشجاعة ، و الوفاء ، و عدم الاستهتار بما هو صغير أو بسيط أو الانتماء و حب الوطن .

و لعلى الأن فى مناسبة ملائمة أحكى فيها عن شكوى عامة من الأمهات بتعلق أطفالنا بالأشياء الضخمة ، حيث يركز الأطفال – عموماً – فى هذة الأيام – على المعيار المادى و الكمى ، وفى الحقيقة أن الابناء معذورون ، لأننا فى عصر كل شئ فية ضخم ، ناطحات السحاب ، والمحطات النووية ، و المبانى الضخمة ، والكبارى العريضة ، فأنسحب ذلك على سلوك الاطفال – و الكبار ايضا – الاخلاقى و الجمالى فطمح الطفل إلى الكثرة ، و التعدد ، و التنوع ، فى الاكل ، و فى المشرب و فى الملبس ، وايضاً فى اللعب ، و لذلك يمكن أن نستخدم " الحكى القديم " على نحو جديد ، فنحكى لة قصص من التاريخ بعد أن نكييفها تكييفاً علمياً و أخلاقياً وجمالياً ، فنختار – على سبيل المثال – من التاريخ البيولوجى قصة اختفاء الديناصور الضخم و المخيف نتيجة هشاشة بيضه و نبين

على نحو مقابل ، صمود و قدرة الأعشاب الخضراء الصغيرة للتقلبات الجيولوجية العنيفة ، وتبدأ الام فى كشف الدلالات بشكل غير مباشر ، فصمود العشب الصغير يعود إلى نموه السريع لأن متطلباته أقل من متطلبات الشجرة التى تبذل كثيراً من مواردها لبناء جزعها و ثمارها ، و هكذا ...

وأعتقد إنه من خلال هذا النوع من الحكى الذى يعتمد على الملاحظات العلمية لا على الخرافة و التخويف يغرس احترام الأهداف الصغيرة ، و احترام الطموحات المناسبة للإمكانيات التى ينميها بإرادته الخاصة لا بالتقليد فيتحكم فى جودة ثمارها ، لأن للطموحات ثمار كما يتحكم فى جمالها لأن الجمال يعنى التوازن بين طموحاتنا و إمكانياتنا ، و بذلك يتعود الطفل و ينمو فى داخله بأن كل صغير بالرعاية و التدعيم و الحب يصبح نافعاً و ايضاً جميلاً .

وبذلك نستطيع القول إن المعطيات الجمالية التى يدركها الطفل وليدا ، ويتشربها فيما بعد من اسرته و مدرسته و مجتمعه ، هى التى تصلة بالعالم و تمكنة من فهمه و إلفه و ليس الاحتياج أو الأشباع البيولوجى ، كما كان يتصور حيث أن هناك ملاحظة بسيطة تدلنا على هذا الرأى و هى أن الطفل اذا غضب لايأكل ، واعتقد أن كثير من الأمهات لها تجارب وملاحظات كثيرة فى هذا الشأن . مثل امتناع الطفل من الرضاعة اذا تم زجرة اثنائها لأنه ضغط على الثدى بسنته النابته – مثلا – أو تزايد بكاء الطفل مع تزايد غضب امه أو إنفعالها . دعوته للهدوء حين تهدا هى من الداخل .

مكونات الجميل عند الطفل :

اعتقد إنه يمكن حصر خمس كيفيات جمالية أساسية تربط الطفل بالعالم هم

- اللون – الضوء –الصوت – الحركة – الإيقاع

يبدو ان هذه الكيفيات تقدم مادة جماليه رائعه للطفل او تغلف الاشياء بماده جماليه فاللون الفاقع يلفت انتباه الطفل عادة ويجعله يشعر بالمتعه والسرور وكذلك انعكسات

الضوء بواسطة لعبة او لمبه وايضا الهمهمه والتهنين كصوت لغوى والرفس والتقلب يمينا ويسارا او المرجحه ثم الصوت كايقاع فى أغنيه او فى موسيقى .

ولذلك لا تلعب الكيفيتان الخاصتان بالحجم والخط دورا فى المتعه الجماليه للطفل فى البدايه لأنهما يرتبطان بوعى متقدم عنه اذ يحتاجان لقدرات ادراكيه خاصه فالحجم يدخل فى تذوق الجليل كالمعمار والخط يدخل في التجريد كفن الاربيسك ويتعرف الطفل على الخط في مرحلة الدراسه او على الاقل فى مرحلة الحضانه .

بداية الوعى الجمالى لدى الطفل

اذا كان الوعى الجمالى يرتبط بالقيمه الجماليه التى تنبثق من شكل جميل فان ما يحدد جمال الشكل هى تلك الكيفيات الحسية التى ذكرناها والتى يمتلك الطفل منها خمس كيفيات اللون الصوت الحركه الضوء الايقاع وان كان الطفل لا يعى الشكل بالمفهوم الجمالى والاصطلاحى له فانه ينتبه لتشكل الصور او يعمل على تذوقها وهى تلك الصور التى يتيحها له محيطه من خلال الكيفيات التى يمتلكها ويلاحظ تزايد درجة تذوق الطفل للصور ذات الكيفيه اللونيه او الضوئيه او الصوتيه او الحركيه بالنسبه لعلاقتها بالشخصية القريبه له والمعتاد عليها فما يقدم بواسطة الام او الاب او الاخ من صور لونيه او ضوئيه او حركيه يقع فى نفسه موقع التلقى الايجابى اكثر من الاشخاص الاغراب لذلك على الاسرة ان تستخدم الكيفيات الجماليه الخاصه بالطفل فى تشكيلات منظمه كالتشكيل الجمالى للصوت فى اغنيه وكالتشكيل الجمالى فى اللون بصباغه او تلوين لعبه معينه بالوان الفاكهه او الورود وكالتشكيل الجمالى للحركه فى اللعبات المتحركه وكالتشكيل الجمالى للضوء فى التوزيعات الضوئيه المتناسقه ويرى

جان بياجيه ان الطفل يبدأ منـذ مولـده والى نحو الشـهر الثـامن عشـر بانطباعـات غـير متناسقه عن طريق حواسه المختلفه التى يكون حتى ذلك الوقت غير قادر علـى تمييزهـا من استجاباته المنعكسه لها ويحصل تدريجيا فى اثنـاء هـذا الوقـت على المعنـى والتناسق الحركى والتوافق وهى الامور الضروريـه لادراك الاشـياء ومعالجتهـا يدويـا فـى المكـان والزمان ولرؤية ما بينهـا مـن علاقـات طارئـة[1] وفـى ضـوء ذلـك فـان التدعيـم الدائـم للتشكيلات المكونه مـن الكيفيـات الجماليـه الخمسـه وتكرارهـا سـتؤدى الى نـو ع مـن التثبيت لهذه الكيفيات وما بينها من علاقـات فـى وعـى الطفـل لأن الطفـل ليـس لديـه انتقاء جمالى وانما علينا ان نقوم بالتثبيت الجمالى للمعطيات الجمالية السابقة ومن ثم تبدأ اولى مراحل حفظ الإبجدية الجماليه بمعنـى حفـظ اللـون والحركـه والصـوت والايقـاع وعلى الرغم من القول بان الطفـل يجـرب كـل شـىء بواسـطة يديـه او اسـنانه فهـو لا يصدق اذنيه ولا عينيه بل يديه واسنانه فقـط وهكـذا فالادراكـات السـمعيه والبصريـه نفسها التى اعتدنا ان نعتبرها الدنيا بالقياس الى التصورات الفكريه هي ظـاهره متـاخره نسـبيا[2] فـان هـذا القـول يكشـف لنـا خصوصيـه الخبره الجماليـه لـدى الطفـل وهـذه الخصوصيـه لا تلغـى وعيـه الجمـالى فـاذا كـانت العين والاذن وهمـا حاسـتا الجمـال متأخرتين عند الطفل وان اليد والذوق وهما الحواس الجماليه الدنيا هى الحـواس الاولى عنده لا يعنى فيما تعنيه الا ان الوعى الجمالى عند الطفل يتسـم بالحسيه الشـديده فهـو لابد ان يلمس الجمال بيـده ويشـمه ويتذوقـه ويمكـن ان يفككـه وذلـك لان إدراكاتـه التصوريه التى يمكن ان تحقق المسافه بينه وبين الجميل تؤدى دورها فـى مرحلـه متقدمـه

---

١ . سوزانا ميللو .. سيكولوجية اللعب ــ ص ٦ .

٢ . غيورغى غاتشف ــ الوعى الفنى ــ ص ٢٠ .

تاتى مع المدرسه وألفته للتجريد خاصة مـع الرياضيـات وبالاضافـة الى ذلـك فـان الفـن الحديـث اصبـح يوجـه اهتمامـه الى بقيـة الحـواس الاخـرى وخاصـة الجاسـه اللمسـيه والعضليه اذ تحقق للفنان افق جديدة من اللذه واكتشاف لقيم جديـدة فـى التصويـر او النحت يقول ديلاكروا :" اه لو امسكت بلوحة الالوان فى هذه اللحظة .... كم اتوق الى هذا اننى اريد ان افرش لونا دسما سميكا على لوحة داكنة او حمراء ".
كما تجرى اليوم بحوث فى كل اتجـاه .... وصـل بعضهـا الى ان اوحـى لأصحابهـا بـان الفنان وكذلك المتذوق لهما القدرة على ان يحصلا من الماده فى التصويـر وحدهـا علـى تأثيرات فنيه دون ان يفيدا من عنصر الشكل ، يتحدث هـؤلاء عـن الفـن المحسـوس او الفن الخام ، ولقد اسمى احدهم لوحته عجينه عظمى [1]

مرحلة الخبرات عند الطفل

اذا كان الوعى الجمالى كما لاحظنا ، يبدأ منذ الولاده ويبدأ بالاهتمام بالجميل لا الجليل وان عناصر هذا الجميل لدى الطفل هى خمـس كيفيـات ، ونبهنـا الى محاولـة تثبيت تشكيلات جماليه من خلال هذه الكيفيات ، لتحفظ الطفل اولى حروف الابجديـه الجماليه ، فان هذا يستمر الى حوالى السنتين او يزيد قليـلا ، ويبـدأ تطـور جديـد مـن النمو الجسمانى والحركى اذ يبدأ الطفل الحبو ثم المشى ومع المشى تبدأ مرحلة الخبرات عند الطفـل أى بدايـة استكشـاف العـالم الخـارجى كمعطـى جمـالى اذ لابـد وان يعـرف تفاصيله فنجد ان هذا الاستكشاف يبدأ بجغرافية المكان من خلال مواقف عشوائية ليس لنا ارادة فى التحكم فيها ، وينعكس ذلك على اسلوب لعـب الطفـل ،اذ يصبـح لعـب

---

١ . جان بارتليمى : بحث فى علم الجمالى ترجمة (أنور عبدالعزيز ـ ص ١٧٨ .

الطفل – كما يقول د.شاكر عبد الحميد – اكثر استكشافية وبنائيا وتظاهريا Pretend play بمعنى أن يتعامل مع الشئ كما لو كان شيئا آخر

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم :

أين الخبرات الجمالية من بين هذه الخبرات التى يمارسها الطفل، وماهى طبيعتها ؟

فى الحقيقة يمكن أن نضع إيدينا على الخبرات الجمالية ، وايضاً يمكننا أن نتعرف على طبيعتها من ملاحظتنا لسلوك الطفل واستجابته فى مواقف معينة فمثلا ، عندما يضغط الطفل على زرار بالصدفة وفجأة تضاء اللمبة ،ونجده يهلل ويثير هذا الموقف بهجته ، كذلك عندما يقوم بالإختفاء فى مكان يختاره غريزيا على إنه مخبأ صعب المنال وتملئه الغبطه والحيرة تأكل قلب امه وهى تبحث عنه ، وهناك اطفال لايأكلون إلا برؤية اشياء تجذب انتباههم إلى جمالها وجدتها ، بأن تجذب حبل الشفاط فيدور ويقدم تشكيل وصوت ثم نتركه وهكذا ، فيتم التهام الأكل اثناء التمتع بالرؤية ، كذلك فتح التليفزيون واغلاقه على نحو متكرر ، وأيضا الاستمتاع برؤية الرسومات المتحركة ذات الألوان الجذابة ومحاولة تقليدها صوتا أو حركة .

وفى ضوء هذه الملاحظات ، لو اردنا تحديد طبيعة الخبرة الجمالية عن غيرها من الخبرات الأخرى ، سنجد إنها تلك الخبرة التى يتضح من خلالها " فاعلية " الطفل فى العالم ، قدرته على التشكيل وايضاً التأثير والإدهاش ، ولذلك يجب ان نميز بدقة بين خبرة اللعب و الخبرة الجمالية لدى الطفل ، فلقد اوضح K.Grooz جروس إن

---

١ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الثانى ـ ص ١٧ .

مشاهدات الأطفال لاتكشف عن علاقة لها صفة الثبات بين السرور الظـاهر واللعب ، وقدم مثلا لذلك بأن طفلا فـي الثـالث مـن عمـره يحـاول بنـاء بيـت معقـد مـن الآجـر وينهمك في عمله ، ويثـور ان هدمـه اخـوه الأصغـر ، ويكتئـب اذا لم ينجـح ، ولكنـه لايكون مبتهجا به ولا ملاعبا بنوع خاص ، بل على العكس يظهر كل دليل على شـدة الأهتمام ، ولكنا نتوهم إنه يستمتع ببناء البيت لمجرد إنه ليس مضطراً إلى بنائه بنفسـه ، وحرية الأختيار التى لاتفرضها أو تحتمها الظروف علامة على اللعب وإن كانت لاتمدنا بتميز مطلق[1] .

في الواقع إن هذا الكلام يكشف لنا عن أن هذه الخبرة فن وليست خبرة لعب، أى خبرة مرتبطة بالوعى الجمالى ، ولعل هذا يفرض علينا التميز بين :

خبرة الفن وخبرة اللعب.

إن الاعتقاد بأن اللعب والفن صنوان هو اعتقاد " خاطئ " فالفن قد يتشابه مـع اللعـب فى أن كلاهما غير نفعى أو موجه لغاية عملية ، إلا أن الخيال فى كلا منهما يختلف عن الآخر ، فالخيال فى اللعب خيال خادع ينتهي بانتهاء اللعبه ، أما الخيال فى الفن خيـال بناء إبداعى يضيف صورة جديدة ورمزا جديدا يدوم ويستمر .

ولذلـك يميز إرنسـت كاسـيرر **E.Casairer** بـين ثلاثـة انـواع مختلفـة مـن الخيـال **Imagination** :

- قوة الإبتكار

---

١ . سوزانا ميللر ـ سيكولوجية اللعب ـ ص ٢١ .

• قوة التشخيص .

• قوة ايجاد صور حسية .

ثم يقول تجد القوتين الأوليين فى لعب الطفل ولكنا لانجد الثالثة ، اذ يلعب الطفل بالأشياء ويلعب الفنان بالأشكال والرسوم الايقاعات والنغمات [1] .

وبذلك يتضح أن ماوصفه جروس Grooz ، هو خبرة فن وليست خبرة لعب ، لأن الطفل يكتئب إذا لم يستطع أن يضيف الشكل أو الصورة الساكنة فى خياله أو التى تحرك شعوره ، لان الجوهر او الخاصة الاساسية للفن كما قالت سوزان لانجر S.Langer هو إنه حياة الشعور Life of feeling [2]

ومن ثم يمكن القول إن ضرورة التمييز بين خبرة الفن وخبرة اللعب تساعد على فهم الفروق الدقيقة بين الخبرات ، هذا الفهم الذى يساعد على تدعيم الجوانب المختلفة بشكل ملائم لها ، مما يؤدى إلى تنشئة طفل متكامل الشخصية ، متوازن الجوانب ، ولايعنى هذا القول التقليل من شأن اللعب ، فاللعب نشاط مهم جداً للطفل، ويبدو اننا يجب أن ننظر إلى اللعب من زواية جديدة ، زاوية علاقته بالطفل ، فاللعب بالنسبة إلى الطفل نشاط جاد ، بل هو كمال الجدية ، حيث نلاحظ حالة الأستغراق التى تحتوى الطفل وهو يلعب ، تلك الحالة التى تأخذه من مواعيد أكله وشربه مثل العالم فى المعمل أو الفنان فى مرسمة أو الباحث بين أوراقة وكتبة ، ومايؤكد هذا القول إن واقعة انفتاح وعى الطفل على العالم لايعطى فرصة للعب كما نفهمه على

---

١ . إرنست كاسيرر ـ مقال فى الإنسان ـ ص ٢٨٢ .

2 S.K. Langer : The problems of Arts - p.125

أنه عبث ولهو ، لأن العالم يثير خيال الطفل وإدراكه ، فهو كالمسافر إلى بلد جديد تملكه الحيرة والدهشة ويشغله الفهم الجغرافى والأجتماعى والثقافى للبلد .

ولعل ذلك يتضح على نحو دقيق فى وصف جون ديوى فى كتابة " مدارس المستقبل " لمدرسة اللعب التى تديرها " مس برات " فى نيويورك حيث تجعل مناشط الاطفال فى اللعب محورا لكل العمل فيها – وتتلخص خطة مس برات – وفق ما تقوله هى إتاحة الفرصة للطفل كى يلتقط خيط الحياة فى مجتمعه ، وأن يعبر عما يحصل عليه بطريقة فردية وتهتم هذه التجربة بأن يحصل الطفل على المادة العلمية طازجة غير منقولة عن أحد ويقال إن الطفل لديه الكثير من المعلومات التى تمكنه ان يبدأ فيها ، وإنه يضيف إلى هذا الرصيد الذى لديه يوما بعد يوم ، كما يقال إن من الممكن أن نوجه انتباه الطفل بحيث يستطيع أن يحصل على معلوماته بطريقة اكثر ترابطا ، إذا استطاع ان يطبق مثل هذه المعلومات على مشروعات اللعب الفردية التى يستخدم فيها لعبا وكتلا خشبية لها علاقة بهذه المعلومات . كما يمكن تطبيقها عندما يعبر الطفل عن نفسه ببعض الوسائل العامة كالرسم والتمثيليات والتعبير اللغوى الشفوى[1] .

ولذا يبدو أن اللعب حكم نسبى ، كما إنه واقعة يكتشفها الكبار فى انفسهم بعد ان يكونوا تجاوزوا مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى فى تعلم شئ ما ، كأن يشبه احدهم ذلك التجاوز بعد – اى الفهم والسيطرة على ذلك الشئ – إنه اصبح لعبة .
وبذلك تختلف خبرة الطفل الجمالية عن خبرة اللعب ، وإذا اردنا تحديدها فهى تلك الخبرة التى تمثل " فاعلية " الطفل فيما يحيط به ، ويمكن تفصيلها إلى خبرات متعدده

---

١ . جون ديوى – إيفلين ديوى – مدارس المستقبل – ص ١٦٣ .

نشتقها من تحكمة فى الكيفيات الجمالية الخمسة التى ثبتناها فى داخله ، والتى نلاحظها فى حبه إلى الشخبطة أو التلوين أو التنغيم أو الحركات الايقاعية التى تمثل الموسيقى التى يسمعها وايضا الالعاب الحسابية وغيرها ، ويمكننا ان نضيف أن سمة فاعلية التشكيل التى تميز خبرة الطفل الجمالية ، فنجد إنه عندما يكتشف الجانب العملى فى اللعبة فهو يكسرها ، اذ يشعر دائما بالميل إلى فاعلية تشكيل العالم الخارجى، وذلك يؤكد إن وعية بالعالم لاينطلق إلا من مقومات جمالية تغفل الجانب العملى ، وترنو دائما نحو التشكيل والتأثير والفاعلية لذاتها .

ويبدو ان هذه الصفة قد تساعد - فيما بعد - ونحن نضع منهج لترقية الوعى الجمالى وتدعيمة ، ولعلنا نستطيع الآن ان نلفت الانتباه إلى أن هذه الخبرات التى تحدثنا عنها الآن كالشخبطة والتلوين وبعض الحركات الإيمائية التمثلية التى يمارسها الطفل وغيرها ، لاترتبط بالنمو الطبيعى أو التقليد فحسب - كما يقال دائما - وإنما هى حصيلة معطيات أو كيفيات جمالية تم تثبيتها فى وعى الطفل .

ومما سبق قوله من ملاحظات ودلائل أكدت على أن الطفل يشعر - كما يقول اتين سوريو - بحاجات جمالية كثيفة . ولكنها تختلف عن حاجات البالغين ، فهو مثلا يحب جمع الاشياء الصغيرة التى تحملة إلى دنيا الخيال وعالم السحر ، وهو مولع بالنظر إلى الصور والزخارف فى الكتب . والشئ الأكيد أن الطفل لايتوجه فقط إلى النماذج المصنوعة ، وإنما يتوجه أحيانا إلى الطبيعة فكم من قطرة ندى تحت وهج الشمس ،

وكم من زهرة في الحقول يرنو إليها متبصرا فتشير عنده الاحساس بالعجب ، على درجة من الكثافة لايبلغها الكبار الناضجون[1] .

مما لاشك فيه إن هذه الحاجة وتطورها هي محرك الوعي الجمالي الذى هو بدوره طاقة دافعة لتناغم ملكات الطفل حسا وتصوراً فالوعى الجمالى – كما قلنا فى البداية – يمكن توظيفه فى مجالات عدة مثل مجال السلوك الاخلاقى ، والعلمى ، والثقافي ، وسوف نبين ذلك فيمّا بعد ، واكتفى الآن بمقال بسيط يوضح العلاقة غير المباشرة بين الوعى الجمالى وتحمل المسئولية لدى الطفل الصغير :

فى يوم من الأيام اهديت نبتة خضراء لأبن اخى الذى لم يكن وقتها تجاوز الخمس سنوات، وقلت له ما رأيك فيها أجاب قائلاً : انها حلوة ، قلت له ، إنها لك ياترى هتحافظ عليها لتكون دائما حلوة ، قال ، نعم ، واخبرتنى زوجة أخى فيما بعد – عن مدى حرصه الشديد على أن يسقى النبتة واهتمامه الكبير بها ، واطرائه الدائم لجمالها ، ففهمت أن الإحساس بالجمال المنزه عن أى غرض أو مصلحة ، يأمرنا من الداخل بالمسؤلية تجاه مانتذوقه جماليا ، وبذلك هو يختلف عن الأمر الاخلاقى الذى يأمرنا من الخارج ويفرض قيوده على نحو شكلى أحيانا كثيرة .

وعندما يتأمل المرء فى كل ما سبق ، يمكن أن يدرك أهمية تدعيم الوعى الجمالى لدى الطفل، إذ إنه خامة تحتوى كثير من إمكانيات التشكيل وزوايا النظر المتنوعة التى تحرض ملكات الطفل وتجعلها تتآزر بشكل يعالج كثير من شكوانا عن

---

١ . إتيان سوريو : الجمالية عبر العصور – ص ٢٣ .

أحادية النظرة فى الطفل ، أو خموله ، أو انطوائه أو ترديده لما يتلقاه دون قدرة على الابتكار والتجديد .

وبما اننا واعين بأهمية الوعى الجمالى فى الطفل فيجب الا نتركه لطبيعته فيضعف أو يتراجع، وقد يندثر نهائياً كمكون من مكونات شخصية الطفل ، ولذا علينا أن ننتهج منهجا حصيفاً نستفيد منه لزيادة وترقية وتفعيل هذا الوعى فى حياة الطفل .

ولما كان خير المناهج مادخل على موضوع يعيه ، فعلينا بادئ ذى بدء أن نقف قليلاً لتقديم مدخل إلى المنهج نحدد به طبيعة الموضوع الذى نضع له المنهج وهو الوعى الجمالى لدى الطفل ، ويمكننا أن نقدم ثلاث نقاط تشخيصية كمدخل لهذا المنهج :

١- الوعى الجمالى كمدخل للتعليم.

يقول الأستاذ الدكتور يوسف مراد فى كتابه " علم النفس فى الفن والحياة " هناك حقيقة ثابتة لم يفطن إليها المربون إلا أخيرا ، إن الطفل فنان بطبعة ، مهما كان مستوى البيئة التى يعيش فيها حقيراً[١] يبدو إن هذا يعنى أن الوعى الجمالى عند الطفل ليس فانتازيا أو شيئاً ترفيا أو شيئاً ثانوى ، بل هو أساسى فى فطرته ، كما أنه ملك للفقراء والأغنياء ، وبذلك فإن الوعى الجمالى أعدل الأشياء قسمة بين الأفراد ، وكلما عنينا برصيد هذا الوعى وترقيته وتوسيع مجاله لدى الطفل لأستطعنا تطوير عملية التعليم من خلاله ، ومما لاشك فيه إن ذلك يقتضى وعى المدرس بأهمية هذا الجانب حيث إن

١ . د. يوسف مراد .. علم النفس فى الفن والحياة ـ ص ٢٩ .

الطبيعـة الاسـتطيقية (الجماليـة) للمـدرس أو فهمـة للاسـتطيقى سـوف يلعـب دورا منجـزا فـى عمليـة وسـياق التعليـم .[1]

ولعلنا إذا أردنا تحديد هذا الدور الجمالى للمدرس على نحو اكثر تفصيلا نقـول إنه يعنى وعى المدرس بما يمكن أن نسـميه . الشـكل الجمـالى للفهـم **The Aesthetic form of understanding** وهو يتلخص فى عدم إرتكاز العملية التعليمية على حشـو المعلومات المختلفـة سـواء كـانت لغويـة أو رياضيـات أو علميـة ، وإنما لابـد أن يهتـم المدرس بالشكل الذى تصب فيه هذه المعلومات وتتحرك من خلاله على مقومات جمالية تتميز بالتنوع الدائم ، بحيث لايتعود الطفل على استدعاء المعلومات وتشغيلها بواسـطة عمليتى التذكر والا سترجاع فحسب ، بل بالقدرة ايضا على استخدام أشكال متعـددة لصب مادة الدراسة (لغة عربية ، رياضيـات ، تـاريخ ، علـوم) وبذلـك ترتقـى قـدرة الطفـل المعرفيـة فـى التحصيـل ، فالمعرفـة تتطلـب مـا هـو أكـثر مـن التلقـى والـترديد للمعلومات العلمية ، فهى تقتضى قدرة الطفل على تأكيد حقيقـة هـذه المعلومـات مـن خلال اجوبته على الأسئلة بطرق جديدة[2] .

وذلك يتطلب وعى المدرس بأن الحس الجمالى لايتحـدد بـالفن ،اذا أننـا نمتلـك حسا جماليا لموضوعات الطبيعة كالبحر والسـماء ، كمـا أن العمـل الفنـى بنفسـه يؤثـر علينا على انحاء متعـددة أخلاقيـة واجتماعيـة ودينيـة وفكريـة ، كذلـك ضـرورة إيمـان المدرس بأهمية الوعى الجمالى وعدم النظر إليه على أنه إدنى من حيث المستوى المعرفى، ذلك لأن قصر المعرفة على ادراك معرفى أوحد مؤيـد مـن قبـل العقـل هـو بـتر لنصـف

---

[1] david farnel : Every man - Artist , p ,184

[2] R F Dearden : The Aesthetic form of Understaning -p 287

الإنسان ، ومن العسير ان نفصل – كما يقول د.زكريا ابراهيم – " الوجدان " من " التفكير " لأنه الوجود البشرى وحدة عضوية لاتقبل التجزئة[1]

وهنا يمكن أن نتسائل كيف تتفاعل المقولات الجمالية التى يعيها المدرس مع المعارف المتعددة التى يدّرسها للطفل كالرياضيات والعلوم والتاريخ ؟

وسوف نقدم امثلة بسيطة وموجزة لهذا التفاعل :

فى الرياضيات : ضرورة أن يلجأ المدرس إلى تنويع وتغيير العلاقات بين الأرقام على الرغم إنها تؤدى إلى نفس النتيجة – مثلاً

١٠ × ٢ = ٢٠ = (٤+ ٦) × ٢ = ٢٠ أو

(١٠ ÷ ٢) + ١٥ = ٢٠

بمعنى تغيير الشكل أو اختلافه مع ثبات الموضوع فى الفن ، أذ يعبر كل فنان عن " الموضوع المطروح " بشكل مختلف يعبر عن مضمون دال على درجة ثقافته ونضجه الفنى .

فى العلوم : اللجوء إلى كشف العلاقات بين اشياء غير متجانسة مثل علاقة " النحلة والزهرة " وتحريض ملكة الملاحظة إلى الفروق بينهما عن طريق التعاطف الجمالى لكلايهما ثم تشجيع وضع فروض متعددة لهذه العلاقات ومحاولة مناقشة هذه الفروض إلى أن يثبت الفرض الصحيح فتصل المعلومة العلمية إلى الطفل على نحو إيقاعى يتدرج من البسيط إلى المعقد .

---

١ . د. زكريا إبراهيم : الفنان.. والإنسان ـ ص ١٤٤ ..

فى التاريخ : يعرف موضوع التاريخ دائماً على إنه دراسة افعال الانسان فى الماضى كحقائق صلبة تتكون من تواريخ وأسماء وأزمنه وأمكنه ، ولكن المدرس ذا الوعى الجمالى والراعى للوعى الجمالى للطفل يمكنة ان يستخدم مقولات الجمال مثل الإيقاع Rhythm ، الهارمونى harmony ، والتعبير Expression ، والتوزن Balance ، وهى مقولات جمالية عندما يسرد أحداث التاريخ ووقائعة بحيث يشد إنتباه الطفل إلى صور متلاحقة للأحداث تتحرك إيقاعيا ، وتعبر شخصيات الاحداث عن ذاتها كأنها لحم ودم ، وتتوازن داخل الصور والأحداث والأفعال على نحو متماثل تارة symmetry أو غير متماثل Assymetry تارة أخرى ، وفقا للقيم التى تحرك الاحداث الشر والخير ، الهزيمة والنصر الحرية والاستعباد ، فيتعرف الطفل على التاريخ كأنها صور حية بمقدورها أن تقيم علاقات التوازن والتشابه والأختلاف بينها وبين الحاضر فتنمو فى داخله ملكة النقد وحرية الرأى .

ب- الكثرة خارج الوحدة :

هناك نقطة خلافية بين علماء النفس حول طبيعة إدراك الطفل هل هو ادراك كلى أم ادراك يهتم بالتفاصيل ، فنجد علماء امثال كراموسيل Cramaussell ، وميتشو Michotto وبرونر Bruner وبياجية Piaget يؤكدون على أن الطفل يدرك التفاصيل أولا ، بينما يؤكد أخرون وبخاصة من منظور جشطلتى أن الطفل يدرك الكل أولا ، وهناك فئة ثالثة من العلماء تميل إلى النظر إلى ادراك الطفل باعتباره عملية تفاعل وتراكم لإدراكه للكل وللأجزاء[1]

---

١ . د. شاكر عبدالحميد : الطفولة الإبداع - الجزء الأول - ص ٤١ .

في الواقع أن الوعى الجمالى الذى يحقق بدورة خبرة جمالية – فى الكبار – يتطلب أطاراً تتفاعل فيه قدرات مختلفة ، مثل القدرة على التاليف بين أفكار مختلفة فى لحظة واحدة ، أو القدرة على المزواجة بين مايأتى من حاستين أو أكثر فى وقت واحد، والتحرك الإيقاعى مع مادة التذوق ، والتطور الإنفعالى مع موضوع التذوق ، كل هذه القدرات تمكن الإنسان الناضج من تلقى وفهم وتذوق واستمتاع بالشكل **Form** الذى بدورة هو مركب من كثرة من العناصر أو هو الوحدة فى الكثرة **Unity in variety** الوان ، ظلال ، خطوط، فى حالة اللوحة ، اصوات ، إيقاع ، هارمونى ، لحن فى حالة موسيقى ، كلمات ، صور بلاغية ، أفكار فى حالة الأدب وهكذا ، وعملية التركيب هذه التى يتكون منها الشكل هى عملية عقلية ، فالوحدة – كما يقول سانتيانا – تنشأ على نحو واع وهى إدراك بالبصيرة النافذة للعلاقة بين عدة عناصر حسية ، يدرك كل منها على حدة ويدرك مابينها من اختلاف أو تشابه نوعى أو كمى ... وهكذا [١] .

فى ضوء ذلك نميل إلى القول بأن الطفل حتى السادسة على الأقل يتسم وعية الجمالى وبالتالى خبرته الجمالية بأنه وعى يهتم بالأجزاء وبالتفاصيل إلى أن يبدأ فى الأرتقاء المعرفى وتنتظم عنده مجالات الادراك البصرى والسمعى واللمسى والحدسى بشكل متفاعل يسلم إلى قدرة إقامة العلاقات بين الأشياء المتجانسة وغير المتجانسة ، وتشغيل المعلومات ، والتداعى السريع للأفكار .

---

١ . سانتيانا : الإحساس بالجمال – ص ١١٩ ، ١٢٠ .

ولذلك نلاحظ أن الطفل خاصة فى السنوات الخمس أو الست الأولى لايتفاعل جماليا مع الأشياء إلا فرادى . ويسعد بتفكيك الأشياء ليكشف من مكامن جمالها لأن الوحدة تعتبر مانع أو حاجز يعوق إدراكه بصفة عامة ، ويبدو أن السعادة التى نراها على وجوه أطفالنا وهم يخرجون كثرة الشيئ عن وحدتة هى بهجة جمالية و ليست فوضوية كما نتهمهم عادة .

ج – خبرة صنعية و ليست تأملية :

و لما كان إدراك الطفل ادراكا تجزيئياً طموحاً يخرج كثرة الاشياء عن وحدتها ولا يشعر بالبهجة و المتعة إلا حين تفعل يداه و يضيف فعله بالكسر أو بالفك أو بالبعثرة، فإن هذة الخبرة هى خبرة صنعية وليست تأملية ، لان التأمل يقتضى الصمت ثم التأمل ثم الوعى بالمعنى ، ثم البهجة الجمالية ، أما الطفل فهو العكس تماماً ، فالبهجة لدية ترتبط بالحركة و الديناميكية و أحياناً العنف مع الاشياء الجميلة رغم حبة الشديد لها .

و لعل هذة الخاصية هى التى أثارت اهتمام جون و إيفلن ديوى فى مدارس المستقبل " حيث افردا فصلا مهما عن التربية و التعليم عن طريق الصناعة اوضحا فية أهمية استغلال قدرة الاطفال على استخدام ايديهم و عضلاتهم و حواسهم فى مناشط صناعية تعلمة الخطوات الاولى فى الصناعة، صناعة الأشياء الضرورية لة تمهيداً لمستقبل افضل فى مجتمعة [١]

---

١ . جون ديوى ، ايفلن ديوى : مدارس المستقبل – ص ٢٨٦ .

إلى هنا و بعد استعراض هذة النقاط الثلاث التى تشخص لنا طبيعة موضـوع اهتمامنـا، نستطيع ان نضع المنهج الذى يدعم هذا الوعى الجمالى ، ويرقى من فاعليتة و هو منهج للتربيه الجمالية يرتكز على فرضيـة اساسـية هـى امتـلاك الطفـل لوعـى جمـالى كمكـون اساس فى فطرتة ،وإن هذا الوعى تحركة الحاجة الجمالية التى تخضـع بدورهـا إلى إيقـاع معين ، تزداد كثافتة و تتنوع درجاتة وفقاً لما يبذلة القائمون علـى تدعيم و ترقيـة هـذا الوعى فى المنزل و المدرسة و الاعلام .

خطـوات المنهـج :

١- قـاعدة الحريـة

كما اوضحنا سابقاً أن للطفل منذ ولادتة خبرات متعددة تتطـور و تتنـوع مـع نموه الإدراكى و النفسى و الجسمانى ، و حاولنا تحديد طبيعة الخبرة الجمالية وسط هذة الخبرات ، و وضعنا ايدينا على سمة مميزة لها و هى إنها خبرة تشـكيلية فاعلـة ، و ممـا لا شك فية ان هذة الخبرة تتضح فى أثناء لعب الطفل ، و إن كان علينا التميز بـين لحظـة اللعب و لحظة وعية الجمالى مع أشيائه و محيطه ، لأنها تلك اللحظة التى يضيف فعلـه ، و من الحقيقى ان الطفل -كما قلنا - يبدأ بيده و يفعل بيده و عضلاتـه ، و لمـا كـان " الإبداع الفنى " هو تفاعل اليد مع الفكر حيث تتآزر اليـد النشـطة بحركـة إيقاعيـة مـع تأمل و تدبير و إعادة صياغة و تحوير و تغيير .

و لـذا فـإن الطفـل يمتلـك وعيـاً جماليـاً و يـداً فاعلـة ، ومـا ينقصـه " للابـداع بوجـة عـام " هـو القـدرة علـى التـأمل ، و التفكـير و التجريـد و التعبـير ، لأننـا لا نقصد بهذا المنهج للتربيـة الجماليـة ان نجعـل مـن كـل أطفالنـا فنـانين و إنمـا نقصـد بـه

أن يكونوا مبدعين ، لأن الابداع هو قدرة المرء على أن يتفاعل مع موضوع مألوف بشكل غير مألوف، فيبتكر لنا نمطاً أو نموذجاً أو نظرية أو تصميماً يضيف به تقدماً و رقيا لوطنه .

وفى ضوء ذلك نقول إن " الحرية " أمر ضرورى لدفع و تحريض ملكات الملاحظة و التأمل لإعادة التشكيل على نحو جديد ، و ذلك يتطلب منا :

- تهيئة مكان يلعب فيه الطفل مع لعبه - بحرية - والتى يجب أن نراعى فيها قابليتها للتفكيك والتركيب على أنحاء مختلفة .
- تقديم إمكانيات متنوعة للتشكيل الفنى كالأوراق والأقلام الملونة وتبادل الأدوار على فترات لأن الأطفال يفضلون التكرار والتغير .
- المراقبة غير المباشرة عن طريق تفكيك بعض التشكيلات على نحو مختلف ليقوم الطفل بتعديلها، لأن استجابة الأطفال - كما تقول سوزانا ميللر - للجده والتنوع أكبر من استجابة الكبار[1] .
- تشجيعه عندما يقلد الأصوات المختلفة طيور أو حيوانات أو أدائه لبعض الايماءات الحركية مصورا تعبيرا ما .
- تحريك قدرة ممارسته للإيقاع فى كل أشكاله .

نلاحظ فى كل النقاط السابقة أهمية احترام حرية الطفل وتدعيمها لأنها المرآه التى تعكس لنا طبيعة وعى الطفل وخبرته الجمالية ، إذ انه وعى حر وتلقائى وخبرة منزهه عن الغرض Disintrestedness ، يهرب فيها الطفل من أى خبرة يطل منها

---

١ . سوزانا ميللر ـ سيكولوجية اللعب ـ ص ١٥٠ .

العنصر العملى ، فهو يجد فيها اللقاء الحر بوجداناته حيث التلاعب الحر بين الخيال والعقل كما يقول كانط ، فيبدو إن خبرة الطفل الجمالية هى تلك الخبرة التى يقصدها كانط تلك الخبرة التى لا يقوى عليها الكبار بعد فعل المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية .

وهكذا نستطيع القول إن نشاط اللعب هو الجغرافيا التى لتحدد فيها بالملاحظة والتدعيم والتربية مناطق الفاعلية التى يمكن توظيفها فيما بعد كأنشطة جادة، لأن اللعب – كما قلنا سابقاً – ليس تفريغا لطاقة فائضة ، بل هو النشاط الجاد بالنسبة للطفل ، ولذلك نوافق هربرت ريد على أن اللعب شكل من الفن [1] ، وذلك لأن الفن هو طريق الانسان إلى السعى الدائم نحو التفاعل مع الحياة والكون فى كل أشكالهما ومن خلال الفن وبه تتخذ الحياة أشكالا متنوعة وإيقاعات جديدة .

فعلى سبيل المثال اذا تم استثمار " قاعدة الحرية " فى اللعب للكشف عن قوة التشكيل لدى الطفل من خلال التدخل غير المباشر فى توجيهه إلى تشكيلات غير مألوفة ، فانه يستطيع التعبير عن حياته الداخلية : مشاعره – عواطفه – إنفعالاته فى الوسيط الذى قدمناه له كالألوان، أو الصلصال او الايقاع (أورج صغير أو بيانو أو قيثارة) ، ثم مع نموه العام سيصبح له رموزه الخاصه التى يمثل بها أفكاره وانفعالاته والتى تكشف لنا – فى نفس الوقت – مستوى وعية العام وتوازنه النفسى وقدرته المعرفية .

---

١ . هربرت ريد ـ التربية عن طريق الفن ـ ص ١٥٣ .

ولعل رسومات الأطفال التى كانت موضوع ابحاث د.محمود بسيونى فى كتابه "رسومات الأطفال" و د . شاكر عبد الحميد فى كتابه الموسوعى "الطفولة والابداع" والدراسة الجيدة للاستاذة سونيا ولى الدين " الطفل والفنون التشكيلية " أوضحت القدرة التشكيلية وكذلك القدرة الرمزية لدى الطفل والتى يمكن أن تكشف عن طرق متعددة لتربية الطفل وتنشئته تنشئه سليمة ، بالاضافة إلى أهمية العمل على استقلالية الوعى الجمالى لديه بمعنى تمييزه وعدم مزجه أو إذابته فى مناشط أخرى .

٢- قاعدة التشخيص Personification .

يقال ان الشكل التصورى المجازى للوعى أقدم من الشكل المنطقى [١]. لأنه الشكل الذى يقوم على العلاقة الحوارية مع أشياء الحياة وظواهر الكون بمعنى أخر كانت العلاقة بين

" أنا " و " أنت " حتى ولو كان جماد فهو يتحدث معى ، وله انفعالاتى ، ويعانى نفس مصيرى ، ولذلك لا تتغير طبيعة العلاقة إلا بعد ممارسة العقل للفكر المنطقى والعلمى، وقدرته على تحويل واختزال الـ " الانت " الحاضر الحى إلى " غائب " مجرد .

هكذا وعى الطفل ، فهو : -

- وعى جمالى بالعالم .
- يهتم بالتفاصيل والجزئيات أكثر من الكليات .
- يتحرك خياله بالحوار مع العيانى Concreteness .

١ . غيورغى خاتشف ـ الوعى والفن ـ ص ١٤ .

في ضوء ذلك فإن " التشخيصي " أي اضفاء الصفات الانسانية على " الأخر " سواء كان نباتا أم حيوناً أم طيراً أم جماداً يدعم الوعي الجمالي لدى الطفل ، لأنه من خلال هذا التشخيص يتحاور الطفل مع أشياء العالم ، السماء و النجوم ، والقمر والشمس ، والبحر والجبل ، والسهل والنهر ، والبط و الأوز ، والأرنب والفرخة ، والفأر و القطة ، والاسد والنمر ، وهكذا .... ومع الحوار تتحول اشياء الطبيعة إلى كائنات يحبها الطفل ويحب أن يعرف عنها كل شئ ولذلك فهو يرسمها كأول تعبير عن حبه لها ، في البداية قد يرسمها رمزاً تمثيلياً كتلك الطفلة التي رسمت وثبات الأرنب على هيئة نقاط متلاحقة مع نطقها هوب هوب [1] .

ومما لاشك فيه أنه لا يمكن الفصل بين تطور الوعي الجمالي وبين تطور بقية جوانب الادراك والذكاء ، والانفعالات والحدس في الطفل ، كما ان بحث الوعي الجمالي في عزله تامة عن هذه الجوانب يكون بحثاً غير ذي جدوى .

ولذلك نجد إرتباطاً عاما بين الوعي الجمالي وترقي ذكاء الطفل ، لأن الذكاء من حيث كونه عملية معرفية متكاملة تحتوى انشطة متعددة : تجريدية، وميكانيكية ، واجتماعية هو المهئ لاستجابة افضل ، بمعنى اخر هو مجال حركة الاستجابة في درجتها ، فإذا ارتفع الذكاء كانت الاستجابة عالية، وإذا انخفض تصبح ادنى وهكذا ، لأن الذكاء على الرغم من التعريفات المتعددة لعلماء النفس – يمكن ان نتفق مع بينية و سبيرمان على أنه " قدرة عامة " تصبح

---

١ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الثالث ـ ص ٢٤٣ .

نوعية مع دخول عوامل فرعية كالبيئة ، والتربية وكثافة الخبرات وغيرها من العوامل [1] .

وبذلك فإن " قاعدة التشخيص " اذا كانت تدعم الوعى الجمالى الذى اذا تفاعل بدوره مع الذكاء فسنجد إنها يمكن أن تحقق ما يلى : –

أ – تزيد من الترقى المعرفى لدى الطفل ، فيعرف أن السمك يعيش فى الماء ، والفرخة تبيض ولا تلد ، والفأر يختلف عن القط ، والثعلب يمكن أن يتغلب على الأسد بدهائه ، لأن الطفل سوف يستنطق المعطيات العلمية من حواره التشخيصى مع الكائنات والظواهر .

ب– ترقى قدرة الطفل الفنية – سواء فى الرسم أو الموسيقى أو تشكيل مواد كالصلصال أو غيره – حيث ان الحوار التشخيصى يدعم الملاحظة لدى الطفل للألوان، والأحجام والنسب والأصوات .

جـ– التفكير بالصور : إن التشخيص هو إقامة علاقة مجازية مع شئ ، ويبدو أن مثل هذه العلاقة تفتح أفاقاً لقيم جديدة فى وعى الطفل بشكل عام تتعدى حدود الترقى المعرفى ، والقدرة الفنية ، وهى القدرة على التفكير بالصور لفهم العالم من حوله ، هذا النوع من التفكير الذى اعتقد انه " اللغة " التى تتعامل بها تكنولوجيا المعلومات الأن ، فالقصة الواقعية التى وردت فى كتاب " العرب وعصر المعلومات " للدكتور نبيل على تؤكد ذلك ، حيث تروى القصة إنه عندما كان يتفقد القائد الأمريكى القوات

---

١ . د. شاكر عبدالحميد : الطفولة والإبداع – الجزء الثانى – ص ١٧٩ .

الأمريكية فى حرب الخليج سأل الجنود كيف تحققون هذا النجاح الباهر فى معركتكم الأولى ، رد أحد الجنود ، لم تكن معركتنا الأولى يا سيدى ، فلقد حاربنا ثلاث معارك فى مركز التدريب القومى فى فورت إروين بكاليفورنيا ، وأربع معارك فى مركز التدريب على المناورات القتالية فى هيونفيلز بألمانيا وعدة معارك أخرى باستخدام نظم المحاكاه الألية Siment - Caft - BCTP. لقد اشتبكنا من قبل بالفعل يا سيدى فى عدة مرات ، وجاءت معركتنا الحقيقية فى الخليج أقرب ما تكون لما تدربنا عليه [1] .

ولعل ذلك يتأكد من خلال وصف إرنها يم – فى كتابه "التفكير البصرى" Visual thinking ، إنه اذا اراد المرء أن يتعقب التفكير البصرى (أى عمليات فهم العالم من خلال الصور) فإنه يجب أن ينظر إلى الأشكال والعلاقات جيدة التكوين وهذه الأشكال توجد – فعلا – فى رأيه فى الأعمال التى تنمو فى المستويات المبكرة من الارتقاء . ومن أمثلة هذه الأعمال رسوم الأطفال لأن عقل الصغير ينشط من خلال أشكال أولية اساسية بسيطة يمكن تمييزها بسهولة عن تعقد الموضوعات التى تصورنها[2]

ويترتب على ما سبق ضرورة الحديث عن الوعى الجمالى والابداع لارتباط ذلك بالوعى الجمالى والذكاء ، فعلى الرغم من تعدد تعريفات الابداع فإننا سوف نقف عند استخدام بارتليت D . Bartlett "مفهوم التفكير المغامر " Adventraus thinking . ليصف السلوك الابداعى وعرفه بأنه الابتعاد عن الطريق الأساسى وتحطيم القوالب السائدة والانفتاح على الخبرة والسماح لشئ معين ان يؤدى إلى شئ آخر [3] .

---

١ . د. نبيل على ـ العرب وعصر المعلومات ـ ص ١٩ .

٢ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الأول ص ١٢٦ .

٣ . د. شاكر عبدالحميد ـ الطفولة والإبداع ـ الجزء الثانى ص ٢٢٩ .

ويبدو أن هذا التعريف يشابه تعريف كانط للإبداع من إنه قدرة استخدام الأشياء بشكل غير عادى أى بطريقة مبتكرة . وفى ضوء التعريفين يمكننا ان نتساءل ما الذى يجعلنا نستخدم الأشياء العادية بشكل غير عادى ومن ثم نتميز به ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول إنه القدرة على إدراك العلاقات ، وهذا يعنى أن ارتباط الوعى الجمالى عند الطفل (منذ الرابعة أو الخامسة) بالذكاء يجعل منهما نوعية خاصة من الوعى يمكن تسميته " بالوعى المركب " ، أى وعى بالعلاقات بين الأشياء وكلما تفاعلت هذه السبيكة المكونة من وعى جمالى وذكاء وإدراك علاقات ، كلما دقت ملكة التباديل والتوافيق ، أى القدرة على إكتشاف علاقات جديدة ، فإذا كان الطفل يدرك أن أ سبب فى حدوث ب وأن ب سبب فى حدوث جـ ، مع فاعلية السبيكة النوعية من الادراك سيدرك علاقة جديدة ولتكن د ، وهذا هو "الابداع" اى الفهم الأعلى للعلاقات التى بدأت بحوار تشخيصى بين الأشياء الحية أو الجامدة ، إذ تم التعاطف الجمالى ثم المعرفى ثم الابداعى .

٣- قاعدة البساطة:

لفهم هذه القاعدة لابد أن نعود إلى خاصية من خصائص الخبرة الجمالية للطفل وهى خاصية الكثرة خارج الوحدة ، تلك الخاصية التى اوضحت لنا أن الطفل لا يتعامل الا مع مكونات فردية لا هارمونية أو مركبة .

فعلى مستوى الأشكال لابد أن تدعم وعيه الجمالى من خلال أشكال مفردة خط ، دائرة ، مثلث ، وعلى مستوى اللون هو أيضاً يبتهج باللون المفرد الصارخ أو اللامع وكذلك على مستوى الصوت فهو يميل إلى الايقاع Rhythm ولا يستسيغ اللحن

Melody أو الهارمونى (التوافق الصوتى) Harmony وذلك لأن اللحن يضيف الإرتفاع والانخفاض للصوت من حيث سرعة الذبذبات أو بطئها وكذلك الهارمونى الذى هو توافق بين صوتين أو أكثر في وقت واحد ، ولكاتبة هذه السطور تجربة وهى تتعلم البيانو مع مجموعة من الأطفال - في أحد القصور الثقافية - لاحظت سرعة حفظ الأطفال من (٥-٨) للوحة الإيقاعية (تا - ت تِ - ت فَ تِ فِ ، ت ف تِ ، ت تِ فِ) عن حفظهم للأشكال الإيقاعية مثل (الروند O ، والبلانش البيضاء P ، والنوار السوداء d ، والكروش ذات السن ، وذات السنين) وذلك لأن اللوحة الإيقاعية ذات زمن واحد مع إختلاف الأشكال ، أما الأشكال الايقاعية فلكل زمن شكل مختلف .

ولذلك فإن تدعيم الوعى الجمالى يبدأ من الأجزاء ومن الوحدات والعناصر ، ابثم مع النمو العام للقدرات تصقل إمكانيات الطفل ويتذوق التركيب والتأليف ، وهناك قصة بول كلى poul klee ، والفنان والمدرس فى نفس الوقت على تلاميذ ، اعتقد " كلى " ان للخطوط lines وللنقاط dots ، وللملمس Textures حياة ومن هذا الاعتقاد قدم لتلاميذه القصة التالية والتى سنحاول رسم أجزائها . لقد أطلق كلى على القصة " فلنأخذ الخط إلى نزهة "Taking a line for a walke" .

١ ـ لقد ولد خط .

٢ ـ بدأ يتحرك .

٣ ـ بعد فترة من السير توقف .

٤ ـ أراد أن يتنفس .

٥ ـ ثم نظر ورائه ليرى كم قطعنا من مسافة .

٦ ـ وجدته حائراً أى طريق نسلكه ، ثم تراجع .

٧ ـ أمامنا نهراً .

٨ ـ يجب علينا أن نعبره ولذا أخذنا قارباً .

٩ ـ هناك كوبرى بعد النهر .

١٠ـ علينا أن نعبر حقلاً محروثاً ثم غابة كثيفة .

١١ـ قابلنا فى الطريق بعض صناع السلال وهم فى طريقهم إلى منزلهم فى عربه ، وكان معهم طفل مجهد الشعر .

١٢ـ بعد ذلك هبط الليل ، وكان هناك ضوء فى الأفق والنجوم تتلألأ .

١٣ـ ثم هبت عاصفة من الذباب علينا ووجدنا أنفسنا نجرى ونقاتل الذباب .

في الواقع ، على الرغم من بساطة القصة ، إلا أنها في إعتقادى – تدعم وعى الطفل الجمالى بالحدث وتطوره وفاعليتات الشخوص ، وعبقرية " كلي " تتحدد في اختباره للخط بطل ، وذلك الاختبار الذى يقوى خيال الطفل ويدعم ملكة الملاحظة عنده ، لأن فكرة القصة كما جاءت " لبول كلى " سببها ملاحظة خط ترمومتر الحرارة ، الموضوع على سرير ابنه فليكس filiex وقد وصلت إلى الاربعين درجة ، ومن ثم كانت حركة الخط قدر ومصير " لبول كلى " ، ومن هذا الموقف العصيب الذى عاشه مع الخط وحركته ، اخترع تلك القصة وجعل بطلها الخط وقصها على تلاميذه ليلفتهم إلى أن كل شئ ولو صغيرا له شخصية ومعنى فى حياتنا اليومية(*) .

وبذلك يمكن القول ان قاعدة البساطة تعمل على تحريك خيال الطفل التشكيلى للعناصر و للجزئيات وذلك لا يتعارض مع طبيعة وعيه الجمالى ، إلا إنها فى نفس الوقت تحرض فيه القدرة على تكوين الصورة ذات المعنى الرمزى الذى يعبر عن شعوره الانسانى فى حالة كونه نواة فنان ، إذ أن الفن هو إبداع أشكال أو صور رمزية تمثل الشعور الانسانى [١] .

(*) القصة وردت فى كتاب How to Enyjoy paintings لمؤلفه الرسام Andrew wright، ولكن بدون تصويرها رسما، إلا أن المؤلفة حاولت تمثيل مواقف القصة، لعل فى ذلك الفائدة لأطفالنا.

[1] S. Langer " Feeling and form , p . 40 .



٤- التثبيت والتكرار :

الطفل هو الكائن الوحيد الذى يمكن أن يتنازل عن طعامه فى مقابل شئ جميل (لعبة، منظر جميل) لأنه يمتلك الاعجاب الساذج البرئ الحر ، واعجابه تابع من الحب والشعور الوجدانى الخالص ، ولما كان الطفل أقرب من الانسان البالغ الى النبع الصافى للحياة فى نقائها ، فهو يشب بخفة نحو زهرة ، ولا ينس أبداً لحن جميل فيردده، ويشاهد بلهفة وحب صور الكرتون وهى تتحرك أمامه بألوانها الزاهية وأشكالها الدينامية .

ولذلك فإنه من السهل تدريب ورعاية حاسة الجمال فى الطفولة من خلال التثبيت والتكرار ، فهو كما يقول د. يوسف مراد ، مرهف الحساسية ، طليق الخيال يحظى بقسط كبير من الحرية ، ولم يتقيد بقيود المنطق والمعارف العقلية ، لأن جانب النشاط الوجدانى فيه أقوى وأشمل من أى نشاط آخر [١] . وعلى ذلك فإن هذه الثروة الوجدانية لابد ان نستثمرها على نحو جيد ، بمعنى نثبت فى داخلة خبرة تذوق للإيقاع ، والتوازن وتمازج الألوان ، وأيضاً للتناسب فى الأحجام .

ولعل أول ركيزة فى التثبيت والتكرار تعود بنا إلى ماقلناه عن خبرة الوعى الجمالى لدى الطفل من حيث كونها خبرة تشكيل فاعلة تتميز بقدرته على إضافة فعله على ما يحيط به ، أو ما يلعب به من الأشياء وغيرها : فكيف نثبت الخبرة الجمالية ؟ لتثبيت هذه الخبرة نعمد إلى إحداث توترا ما فى نفس الطفل حين نختار العاب قابلة للتفكيك و التركيب على انحاء متعددة ، فانتهز فرصة تفكيكه للعبة واهمالها بعيدا ، لأنه - كما قلنا - لا يتذوق شيئا الا وهو فرادى فأقوم بشكل غير مباشر بتركيبها

---

١ . د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة . ص ٢٩ .

واتركها دون ان انبه إلى ذلك ، فيبدأ يلاحظ الشكل الجديد الذى تم تركيبه ، ثم قد يفكها مرة أخرى ، فأقوم بتكرار نفس العمل ، وقد اغير فى طريقة التركيب بحيث يحدث شيئا مختلفا، وأتركها ، فيبدأ يلاحظ ويتذكر الفروق ويتوتر تمهيدا لسلوك تشكيلى فاعل نابع من ذاته ، وتبدأ لحظة " التهيؤ " التى سبقها ملاحظة وتذكر وتوتر، هذه اللحظة يراجع فيها تفاصيل اللعبة وكيفية تركيبها على نحو كلى ، قد يخطأ مرة ومرة فى التركيب ، إلا أن التكرار الذى نعمد إليه على نحو غير مباشر ، يدفع بالطفل إلى ما يسميه علماء النفس " المرونة التكيفية " وهى قدرة الشخص على تغيير الزاوية الذهنية التى ينظر منها إلى حل مشكلة معينة [1] .

ويمكن القول إنه إذا كان هذا التثبيت والتكرار لمعطيات الوعى الجمالى وكيفياته لدى الطفل منذ ولادته من خلال المداعبة الايقاعية والألعاب ومشاهدة الكرتون ومسرح العرائس والحوار مع الحيوانات والطيور ، يحدث ما يمكن أن نسمية افقا نوعيا فى تذوقه لهذه الأشياء ، فإننا يجب أن نلفت الانتباه إلى ان هذا الأفق النوعى مع إزدياد نمو الطفل وازدياد قدراته الادراكية والذهنية سيؤثر فى كل خبراته الجمالية سواء كانت فنون تشكيلية رسم ، ونحت أو موسيقى أو شعر تأثيرا متبادلا ، فعلى سبيل المثال تثبيت الايقاع وتكراره فى داخل الطفل سيحقق قدرته على تذوق الرسم أو ابداعه ، لأن الإيقاع عنصر مشترك فى هذه الفنون يوازية اساس مشترك فى الحواس المتباينة فى الانسان وهو ما نسمية بالحساسية المشتركة synesthesia [2] .

---

١ . د. مصطفى سويف : دراسات نفسية فى الفن ـ ص ٢٥ .

٢ . أنظر د. مصطفى سويف: دراسات نفسية فى الفن ـ ص ٣١ وقد تحدث عن مقال جيد بالتفصيل لأريك هورنبوستل عن «وحدة الحواس» لا يسع المقام الحديث عنه.

٥- اشاعة جو الطمأنينه والتقدير :

اعتقد ان هذه القاعدة يتفق عليها كثير من المهتمين بتربية الطفل جماليا ، لأننا اذا اردنا ان نعلم الطفل كيف يتذوق وكيف يفكر ثم كيف يسلك ، فلابد ان نحيط الطفل - كما يقول د. يوسف مراد - بجو من السعادة والطمأنينة والتقدير ، وأن نتيح له أكبر عدد ممكن من الفرص لكى يعبر عن نفسه [١] . وذلك يعنى المشاركة الوجدانية لفاعلياته وتقيميها تقييما رقيقاً ، فالمحاولات الأولى - كما يقول د. محمود البسيونى - لمسك القلم تتم عادة بمعاونة الأم التى تعتاد تقديم نموذج الرسم والأكثر من ذلك تيسر نموذج الحركات الخاصنة بالذراع واليد ، وفى معظم الحالات هناك كم خفيف من الرقابة النقدية ويحدث ذلك حينما نقول مثلاً : " اين أنف بابا " " أين ذيل دوجى " [٢]. وبذلك نستطيع تنمية الامكانيات الابداعية لدى الطفل وتحويلها ، بتوفير جو خصيب - إلى طاقة فعل تتكشف فيها قدراته ، متأزرة دون خوف أو تهديد وفى ذلك يؤكد - د.شاكر عبد الحميد - على أهمية توافر شرطان أساسيان فى بيئة التعليم والتربية سواء فى المنزل أو المدرسة ، يتعلق الشرط الأول بوجود الأمن النفسى أى شعور الطفل بقيمته الذاتية ، سواء كان بنتاً أو ولداً - والشرط الثانى وجود مرب يستطيع أن يقنع الطفل بأن يقدر مشاعره وإنجازاته من وجهة نظر الطفل نفسه وليس من وجهة نظر الراشد[٣] وهو عين ما أكد عليه - د. زكريا إبراهيم - فى كتابه " الفنان والانسان "

---

١ . د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة - ص ٣٠ .

٢ . د. محمود البسيونى : رسوم أطفال ما قبل المدرسة - ص ١٧٤ .

٣ . د. شاكر عبدالحميد - الطفولة والإبداع - الجزء الرابع - ص ٧ .

بقوله : " ليس من الحكمة فى شئ أن يتدخل المعلم باستمرار فى صميم تجربة الطفل ، بل لابد أن نتركه يجرب بنفسه ولنفسه ، فإذا كان الطفل بصدد مطالعة إحدى القصائد أو مشاهدة إحدى اللوحات أو سماع إحدى المقطوعات الموسيقية ، وجب على المعلم أن يلتزم الصمت حتى يدع للتلميذ فرصة تذوق " العمل الفنى " بنفسه، ومعنى هذا إنه لابد للطفل من أن يكتسب خبرته الجمالية بجهده الخاص [١] .

وفى ضوء ذلك نقول إنه باشاعة جو الطمأنينة والتقدير لتدعيم وعى الطفل الجمالى ، سيتعلم الطفل الاعتماد على ذاته فى جو من الثقة والتكريس ، ومن خلال إدراكه الحسى للعناصر الايقاعية ، واللونية ، والنسب ، والأحجام وكيفية تركيبها وتحويرها وتحديه لصعوبتها المتعددة خلال نموه منذ الشخبطة العشوائية إلى الشخبطة الرمزية إلى الخطوط التمثيلية إلى التشكيل الملون القاصد لمعانى ، ستبرز فيه ملكات الخيال والنقد والاستقلال فى الرؤية وهذه بدورها ترسم الطريق إلى الإبداع .

﴿ مظاهر الوعى الجمالى وفاعليته ﴾

يمكن القول يان للوعى الجمالى لدى الطفل ، مظهـراً عامـاً هـو جنـس لإنـواع فرعية من المظاهر تندرج تحته وتشاركه فيه ، فالمداعبة هـى ذلـك المظهـر الجمـالى العـام لدى الطفل . والمقصود بالمداعبة – هنا – هو ذلك السلوك الحركـى الـذى يقـترب بـه الطفل من الأشياء – ومن ثم من العالم الخارجي بأسره – ليأنس إليهـا ليفهمهـا وينفتـح عليها ثم ينفتح على ذاته من خلالها . لذلك كانت مداعبـة الطفـل للعـالم الخـارجي مـن حوله هي اكثر المداعبات جدية في حياة كائن ، فهي مدخل إلى الفهم – كمـا رأينـا – والأستكشاف والفاعلية وتنمية العلاقة بين الأنا والأشياء (وهـذا هـو الجـانب النفسـى والداخلي للمداعبة) . من هنا كانت المداعبة التي تقوم بين الطفل والأشياء هي المظهـر الجمالى للبنية العقلية والنفسية لدى الطفل وتطورها .

وبذلـك فـإن مـايحرك المداعبـة تعبـير الطفـل الوجدانـى عمـا يغمـر نفسـه مـن احاسيس ورغبـات ومـا يـرد علـى قلبـه مـن تخيـلات واطيـاف ، يعـبر عـن كـل ذلـك فـي مناغاتـه العـذب وأصواتـه الايقاعيـة وشـتى أنـواع العابـه وحركاتـه ، وفيمـا تخطـه يـده مـن رسـوم وزخـارف ، ومـا ينطـق بـه لسـانه مـن قصـص وتعليقـات بريئـة [١] ، ويتـأكد ذلـك فيمـا يسـمى بنظريـة الفرحـة بالحيـاة ، فيبـدو أن المداعبـة هـى أول مظهـر يعكـس لنـا بهجـة الطفـل بالحيـاة بالمناغـاة والأصـوات الايقاعيـة التـى

---

١ . د. يوسف مراد ــ علم نفس فى الفن والحياة ــ ص ٢٩ .

يطلقها وايقاعات التخطيط التى تصور ما يهز قلبه من نبضات تنعكس فى تنوع التخطيطات من مواجية إلى دائرية إلى لولبية [٢] .

وفى الواقع نجد أن المداعبة – وهى المظهر الجمالى العام – فى علاقة الطفل بالأشياء ، تنطوى على جملة من المظاهر الجمالية الفرعية لدى الطفل ؛ فالطفل فى مداعبته للأشياء متحرك فى دائرة الاستخدام الجمالى للحياة ، إذ إنه لا يداعب الأشياء فى وجودها الجهم ، بل فى وجودها الهاش الباش ، حيث النعومه والملمس والليونه فى القوام والعذوبة فى الصوت والبساطة فى التركيب والوضوح فى الأداء والمطاوعة فى التشكيل والنصاعة فى اللون والجهارة فى الضوء والرشاقة فى الحركة والرقة فى الايقاع ، فالمداعبة بين الطفل والأشياء علاقة ديناميكية فى دائرة يكون الاقتراب فيها من الأشياء قائماً على انتقالات جمالية فطرية الاساس فيها الاستحباب الحر الطليق .

ولعل ذلك يتضح بشكل تفصيلى فى كتاب د. محمود البسيونى " رسوم الأطفال قبل المدرسة " حيث سأنتقى من نصوصه بعض ما يؤكد ما سبق ، فهو يقول إن الطفل لا يحكم سلوكه طول الوقت منطق الكبار ، وإنما ينبعث من المثيرات التى تحركه ليفحص الأشياء ويتفهم كنهها ، كذلك حين يتناول الطفل من علبة شيكولاته حفنة بكلتا يديه ، لا يكون همه أكل الشيكولاته ولكنه مفتوناً بألوانها الزاهية وبريقها ، الأمر الذى يشبع فضوله بدليل إنه يرصها فوق المنضدة متأملا ألوانها متفحصاً الأحجام، وعندما يشبع فضوله يعيدها إلى العلبة ، كذلك إيضا شغف الطفل بالمجلات

١ . د. محمود البسيونى ـ رسوم الأطفال قبل المدرسة ـ ص ٢٤ .

المصورة وغضبة وثورته حين يأخذها والده تجنبا تمزيقها ، لان جل أهتمامه هو الصور وألوانها[1] .

ويبدو آن هذا الاقتراب – الذى يقوم به الطفل – من شأنه التوسيع من دائرة الاشياء ، ومن هنا كان اهتمام الطفل بنظافة اشيائه مظهرا جمالياً ناشئاً عن المداعبه اللمسيه لها ، كذلك يكون إجتهاد الطفل فى خلق نوع من (الحوار الخيالى) بينه وبين أشياءه ، تطوير لعملية الدنو والاقتراب من وجود الأشياء يرقى فى الطفل من مناهج المحكاه والسرد أو الحكى والانشاء والاستمتاع الذاتى ، بالملكة اللغوية التى تظهر فى مخاطبة الأشياء والنيابة عنها فى تأليف الردود ، ولنضرب مثلاً لذلك ، فحين تتحدث الأم أو الجدة مع طفلها أو طفلتها فتقول لها كلى أكلك "متبقيش عبيطة " تحفظ الطفلة كلمة عبيطة على أنها صفة سيئة ، ثم تردد هذه الجملة بعينها حين تتحدث إلى قطتها وتقول لها " كلى أكلك ماتبيقيش عبيطة " هكذا تربط الطفلة بين صنعة العبط والقطة لأنها تنظر إلى الحيوان على إنه مساولها وتعتقد أن ماتوصف به يمكن ان يوصف به الحيوان . ومن هنا – كما يستطرد د.محمود البسيونى – فإن المغازى الاخلاقية يمكن أن يصدقها الطفل إذا جرت على لسان الحيوان ، وقد تفهم غدر الذئب مع الحمل ، ومكر الثعلب ، والدب الذى قتل صاحبه من الوفاء ، والكلب الأمين [2] .

إلا أننا نضيف أن مداعبة الطفل للأشياء بذاته ، يتفرع عنها مداعبة للأشياء بالأشياء فى مظهر جمالى مباشر الأساس فيه إدراك حسى للعلاقات بين الأشياء ، فيترجم عن ذلك بخطوط الأقلام على مسطحات الورق ، وفى توزيع مساحات عشوائية من

---

١ . محمود البسيونى : رسوم الأطفال قبل المدرسة أنظر بالتفاصيل فى: ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣، ٤٣ .

٢ . د. محمود البسيونى ــ المرجع السابق ــ ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

اللون على الجدران ، وفى الايقاعات غير الرتيبة لطرقات ملعقة فى جوف طبق إلى غير ذلك.

ويبدو إننا يجب أن نتوقف – هنا – قليلاً لمناقشة قضية هامة يثيرها دائماً المهتمين بالتربية الجمالية للطفل ، سواء أكانوا سيكولوجين أو تربويين، من حيث قياس ذكاء الطفل أو تطوره المعرفى من خلال إنتاجه الفنى ، فمثلاً يلخص جاردنر حركة التطور فى التخطيط عند الأطفال ، حيث يبدأ الطفل منذ العامين يستمتع بالاحساسات الموتورية Motoric Sensations ، ثم يتدرج إلى إدراك التباين بين التخطيطات القائمة والسطح الأبيض ، ثم الأشكال الهندسية ثم ينتج أشكالا يمكن التعرف على مصادرها فيستخدم فرخ الضفدع Tadpale ليمثل كل البشر ، وكذلك تصنيف لامبرت بريتان لتخطيط الأطفال وتطورها من تخطيطات عشوائية ، إلى تخطيطات مقصودة إلى تخطيطات تمثيلية [١] .

فى الواقع إننا لا نستبعد مطلقاً الزوايا الجيدة التى من خلالها يعالج السيكولوجين والتربويين من الأطفال إلا إننا نود أن نلقى ضوءاً جديداً على الزاوية الجمالية أو الاستطيقية ، التى يتم توظيفها فى التربية الفنية أو علم النفس على نحو تجريبى من حيث تدريب الطفل على أن يعتنى بالتفاصيل وتراكيبها وعلاقاتها الجمالية دون الإهتمام بتحليل طبيعة الخبرة الجمالية التى تحدث هذه الرسوم وغيرها من إبداعات فنية ، وكيما يتضح ذلك لابد أن نذكر ما قلناه من ان وعى الطفل بالعالم هو وعي جمالى وهو وعى متنام يتطور على نحو كيفى ، فهو يرى الأشياء بداية ككتل ضخمة

---

١ . د. محمود البسيونى ـ المرجع السابق ـ ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

ويسمع الأحداث كثرة متنوعة ، ولذا فإن وعيه الجمالى يبدأ كميا ويتضح ذلك فيما يسمى بالشخبطة المتشابكة الكثيفة أو ما يحدثه من أحداث غليطه بالملاعق ومع تطوير وعيه الجمالى كيفيا – وهو لا يتطور إلا بترقى قواه الادراكية والحسية والذهنية – يترقى وعى الطفل بذاته وبالأشياء وينعكس ذلك على درجة رقى المداعبة، حتى تخرج فى نهاية مرحلة الطفولة عن عفويتها وسذاجتها ، لتصبح نوعا من الفعل الفاهم ، ولتبدأ التمييزات النوعية تعرف سبيلها إلى قلب هذه المداعبة لتخلق منها أنماطاً أرقى من السلوك وتحصيل الخبرة .

بعض مظاهر التمييزات النوعية لوعى الطفل الجمالى :

يرتقى وعى الطفل الجمالى عن نحو كيفى فى الرسم مثلاً حين يختار الشكل المناسب لمضمونه الذى يعبر عنه ، وذلك لأنه فى البداية يعبر ذاتياً عن وقع الأشياء فى وعيه ثم مع نموه والتحاقه بالحضانة والمرحلة التعليمية يفعل " البعد الإجتماعى " فعله من خلال التعليم والرحلات والعلاقات المتبادلة بينه وبين أقرانه ومدرسيه حيث يتم الاتفاق على تعريف الأشياء وعلاقاتها وتسمية كل شئ بإسمه وإندارجه فى فئات ، وبالتالى يبرز فى وعيه " البعد الموضوعى " فينعكس ذلك فى رسوماته عن الأشياء كما هى بألوانها واحجامها مستخدما معلوماته عنها ثم بعد ذلك يتم التفاعل بين الطفل وبيئته وخاصة فى السنوات الأخيرة من الطفولة أى منذ العاشرة ، فتنعكس هذه الخبرات التفاعلية على شكل ومضمون رسوماته حيث يتكون داخله معياراً موضوعياً وينمو وعية النقدى ، فنجد رسومات هذه المرحلة تعبر عن معانى مجردة : كالحب ،

والايمان ، وصورة الوطن فـي نفسـه ، ومعنـى الأسـرة ، والربيـع والقريـة وهكـذا فـي الموسيقى والنحت والشعر .

ولذلك فإن ما ينتجه الطفل فن له خصوصيته وجمالياته ، لأن ما يمـيز الفـن هـو أنه تعبير صادق ، وخيال حر طليق ، واعتقـد أنـه لا يختلـف أحـد علـى صـدق الطفـل وحرية خياله القادرة على تشكيل الواقع فى أشـكال وتعبـيرات يعجـز أبـر ع الرسـامين على محاكاتها ، ولعل هذا ما قصده المصور " بول كلى " – الذى اشتهر بـأن رسـوماته تشبه رسومات الأطفال – حيث يقول : لا تترجم أعمالى إلى أعمال الأطفال ....إنهما عالمان منفصلان .... لا تنس أبداً أن الطفل لا يعرف شيئا عـن الفـن ..... أمـا الفنـان فعلى العكس فمشغول بتلويناته الواعية ، والتى تبرز معانيها التمثيلية بقصد مـن خـلال تداعيات اللاشعور [1] . فبول كلى من خلال رسـومات إبنـه فيلكـس **Felix** وصـل إلى هذه النتيجة حيث أدرك أا سام الناضج يعى تماما التمييز بين الخيال والواقع .ويعرف جيداً متى يهرب من قع إلى الخيـال أو العكـس ، أمـا الطفـل – كمـا قلنـا – فهـو يشكل الواقع من خلال خياله ، كذلك فإن الطفل لا يعى الفن كتكنيـك وصنعـه وإنما هو مجرد تعبير حر لديه ، ولذلك محاولة إيجاد علاقة بين رسـوم الأطفـال ورسـوم فنـانى الفن الحديث كخوان ميرو وبيكاسو ، وبول كلى هى محاولة خاطئة ، فالفنـان الحديـث يمارس من الأطفال كأسلوب واعى قاصد ،

---

١ . هذا النص ورد فى كتاب الدكتور محمود البسيونى – رسوم الأطفال قبل المدرسة – ص ١٥٧ .



بمعنى إننا يجب ألا نقول إن ميرو في لوحته " أشخاص وكلب أمـام الشـمس " أو بـول كلي في لوحتيه :" صورة الطفل ، وحيوانات تحت ضوء قمر مكتمل " هي رسوم تشبه رسوم الأطفال ، بل هي رسوم تحاكي أو تمارس إسلوب الطفل في الرسم .

وأخيراً نتساءل **ما الذي يفعله الوعي الجمالي في الانسان بصفة عامة ؟**

أعتقد أن الإجابة ستأخذ طريقها في التفسير في ضوء كل ما سـبق ، قولـه ، لـذا يمكـن القول إن الوعي الجمالي طاقة نولد بها ، ولكنها طاقة غير محددة الهدف تحتاج الملاحظـة والقدرة على تنميتها بنفس القدر الذي تنمي به القوى الأخرى ، ثم تستثير هذه الطاقة في الانسان كل ملكاته الحسيه والادراكية والحركية ، ولكن عوامـل المواهـب الخاصـة تحدد لنا الاختلاف في التعابير عن هذا الوعي ، بمعنى أن حالة الاستثارة الجمالية تكون أقوى في ملكه عنها في ملكة أخرى ، فقد يحـرك الوعـي الجمـالي عنـد تحولـه إلى حالـه جمالية تتلبس الانسان ، فتثير فيه ملكه البلاغة اللفظية فينظـم الشـعر أو تحـرك الميـل إلى عمل تكوينات وأحجام فيرسم أو ينحت أو يتحرك فيه القدرة على الخيـالات الصوتيـة المبهمة فيؤلف الموسيقى ...... وهكذا .

وبذلك تتنوع الفنون فى أشكالها أما المضمون الذى تعبر عنه فهو واحد هو القيمة الجمالية التى تتجلى فى شكل يحقق المتعة الجمالية ولكى نحكم عليه بأنه شكلاً جميلاً فلابد أن يتصف بعدة خصائص أو سمات تجعله شكلاً حياً ودناميا : .

أ – لابد أن يتصف " الشكل الفنى " لأى عمل فنى بالنمو التدريجى أو التطور الداخلى بحيث يصل بالمتلقى إلى حالة الارضاء ، وذلك لأن جانباً كبيراً جداً وهاما من مهمة الفنان هو تنمية الوعى الجمالى لدى المتذوق .

ب– الكشف والجدة ، ونقصد به أن الفنان من خلال الشكل التعبيرى الجديد الذى ابتكره عن موضوع مألوف لدينا ، إنما يرمى إلى أن يبدى للمتلقى وجها جديداً أو بعدا قد يغيب عنه فى زحمة اهتمام المتذوق بجزئيات الحياة وتفاصيلها .

جـ– تنمية الخيال بمعنى أن الأشكال المختلفة للفنون تعد اسهاماً جيداً فى تنمية الخيال فهى تبين من خلال هذه الابداعات اللامحدودة إنفتاح القيمة بلا حدود ، وهذا جعل كثير من الأعمال الفنية سببا فى إبداعات حضارية ليس لها صبغة فنية ، فمثلا ، قصص الخيال العلمى لـ **H.G.wells** قدمت من خلال قدرة الفنان اسشراف أفق لا محدود للقيمة مقدمات لمجالات التنمية الحضارية ليس لها صبغة فنية .

وهنا يطرح سؤال مهم نفسه :

هل نقصد بدراسة الوعى الجمالى عند الطفل ولفت الانتباه إلى ضرورة تنميته وصقله أن يصبح كل طفل فنان ؟

مما لا شك فيه أن الاجابة بالنفى ، وذلك لأن الابداع الفنى يحتاج إلى " موهبة خاصة " ، إلا اننا يمكن أن نقول إن تنمية هذا الوعى الجمالى " كطاقة " والعمل على فاعليته مع بقية الملكات يعمل على تنشئة مواطن مبدع فى مجاله الخاص، وذلك لأنه إذا كان تعميق الواقع يتم بالعلوم المختلفة الفزيائية والكميائية والاقتصادية والاجتماعية ، فإنه تعميق الخيال المسئول عن قدرة هذة العلوم على أحداث تعميق الواقع فهو " الوعى الجمالى " ، لأنه المدخل الطبيعى لترقية الملكات الانسانية معا ، فمثلا المدرس ذا الوعى الجمالى سيتحرر من دوره كمقيد وكابح لحرية التعبير ، ويهمل مناهج التلقين والترديد ، ويبدأ ممارسته لدور المحرض والمحرك للملكات أن تعمل متناغمة ، وبذلك يعتمد الطفل على ذاته فى جو من الثقة والطمأنينة ، فيتحدى المشكلة المدركة حسياً وينسحب تأثير الوعى الجمالى للمدرس على نفس الطفل فنراه فى موقف الحل كأنه فنانا حقيقيا على الرغم من عدم نضجه . كذلك الصيدلى المبدع يبتكر دواء من حيث اللون والطعم والرائحه يختلف فى ذلك عن الصيدلى الذى يقف عند حدود التقنية العلمية ، وأيضاً الطبيب الذى يعالج جسداً فقط غير ذلك الذى يعالج الانسان كوحدة متناغمة من نفس وجسد ، وأيضاً المهندس المدنى والمهندس المعمارى إذا اتصفا بالوعى الجمالى والحساسية الفنية سينشأن مدنا مريحة وجميلة فى نفس الوقت ، وبالمثل الموظف فى مكتبة ، والعامل فى مصنعه والفلاح فى حقله سيؤدون عملهم وكأنه إبداع فنى ، لأن من يتشرب الجمال اى التوازن والتناسق والتناغم والجدة والتنوع منذ ولادته سيجعل منه انسانا متوازنا بمعنى إنه لا يوجد فيه نشاز ، فتتفق سلوكياته مع أفكاره مع طريقته فى الحياه ، فالآية الكريمة : ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ تعبر عن تناسق الداخل مع الخارج ، فالايمان باطن والعمل أو السلوك الخارجى ، الايمان حق والسلوك

جميل يعبر عما بالداخل ويتناغم الداخل مع الخارج للإنسان منذ طفولته سيتحقق للوطن ما يبتغيه من تقدم وازدهار .

لعلي أخيرا أحاول – في كلمات قليلة أن اوضح مقصدى لفاعلية الوعى الجمالى ، فإذا كان الوعى الجمالى هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة فى الاختلاف ، فى المتناقضات ، فى المتعارضات كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة من الحلول أمام العقل الذى يختار فى الأغلب أحد الحلول ، فإنه بذلك يغرس احترام الرأى الأخر ومعتقداته ويبتعد ذا الوعى الجمالى عن التعصب والتشدد ، وكذلك يجعل الوعى الجمالى صاحبه يبحث دائماً عن زوايا جديدة للرؤية فيتجنب الجمود ، وايضاً عن جوانب ومستويات متعدده من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التى تعوق التقدم وتغلق طريق التبادل والحوار الانسانى على ارض يملؤها الاحترم والفهم المتبادل وايضا التسامح والتقدير .

المراجع الأجنبية

1. Andrew Wright : How to enjoy paintings, Combridge University press, 1986 .

2. David Farnill : Every man - Artist, in : The Development of Aesthetic Experience ed ., by Malcolm Ross, pergamon press, Oxfard, New york, Toronto .

3. Gilbert and Kuhn : A History of Aesthetics, Greenwood press, publishers 1972 .

4. Paul Edwareds, ed ., : The Encyclopedia of philosophy . vol ., 1 and 2.

5. peter A.Angeles : Dictionary of philosophy , Barnes & No Ble Books New york , Combridge , philadeliphia .

6. R.F.Dearden : The Aesthetic form of understanding , in : Aesthetic and problems of Education ed ., By Ralph A. smith , university of illinois press , 1971 .

7. S.K. langer : The problems of Art , printed in the united states of America library of congress .

8. S.k. langer : Feeling and Form , Charles Scribner,s sons - New york .

المراجع العربية

١-ألكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول – ترجمة شفيق اسعد فريد ، مكتبة المعارف – بيروت – ١٩٨٠ .

٢-د. أميرة حلمى مطر : مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن – دار المعارف ١٩٩٤ .

٣-إتين سوريو : الجمالية عبر العصور – ترجمة د. ميشال عامى – منشورات عويدات .

٤-إرنست فيشر : ضرورة الفن – ترجمة أسعد حليم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٦ .

٥-أرنست كاسيرر : مقال فى الانسان – ترجمة الدكتور إحسان عباس مراجعة : الدكتور محمد يوسف نجم – دار الاندلس – بيروت .

٦-جان بارتليمى : بحث فى علم الجمال – ترجمة الدكتور أنور عبد العزيز مراجعة الدكتور نظمى لوقا – دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٠ .

٧-جورج سانتيانا : الاحساس بالجمال – ترجمة د . محمد مصطفى بدوى ، مراجعة د . زكى نجيب محمود – مكتبة الأنجلو المصرية .

٨-ديوى : جون وإيفلين : مدارس المستقبل . ترجمة عبد الفتاح المنياوى مكتبة النهضة المصرية.

٩-د . زكريا إبراهيم : الفنان والانسان – مكتبة مصر .

١٠-سوزانا ميللر : سيكولوجية اللعب – ترجمة رمزى حليم يس مراجعة د . أحمد زكى صالح – وزارة الثقافة – المكتبة العربية ١٩٧٤ .

١١-د . شاكر عبد الحميد : الطفولة والابداع – الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية – خمس أجزاء – ١٩٨٩ .

١٢-غيورغى غاتشف : الوعى والفن – ترجمة د . نوفل ينوف مراجعة د . سعد مصلوح – عالم المعرفة ١٤٦ – ١٩٩٠ .

١٣-د. محمود البسيونى : رسوم الأطفال قبل المدرسة – دار المعرفة – ١٩٩١ .

١٤–د . نبيل على : العرب وعصر المعلومات – عالم المعرفة ١٨٤ – ١٩٩٤ .

١٥–د. مصطفى يوسف : دراسات نفسيه فى الفن – مطبوعات القاهرة – ١٩٨٣ .

١٦–هربرت ريد – التربية عن طريق الفن – ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة مصطفى طه حبيب – الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ١٩٧١ .

١٧–د. يوسف مراد : علم النفس فى الفن والحياة – كتاب الهلال – ١٩٦٦.

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦٩٢ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5258 - 7



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه وربع
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ د. وفاء إبراهيم

- أستاذ مساعد علم الجمال بكلية البنات، جامعة عين شمس.

- لها عدة مؤلفات فى علم الجمال والوعى الجمالى، منها: «علم الجمال قضايا تاريخية ومعاصرة».

- ترجمة وتقديم رسائل فى التربية الجمالية للإنسان لفردريش شيلر.

- «الفلسفة والأدب عند نجيب محفوظ».

- «قراءات جمالية فى إبداع هؤلاء».

- «فلسفة فن التصوير الإسلامى».

- «الشخصية المصرية فى فن محمود مختار».

- حصلت العام الماضى على شه... من السيدة الجليلة سوزان مبارك عن ... فى سلسلة مكتبة الأسرة بكتاب «فل... التصوير الإسلامى».